فُرسَانُ الشَرق

دار الكنزي للنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة
محمد صلاح شديد

المدير العام
إيناس الدسوقي

مدير الإنتاج
أحمد عبد الحليم

مدير النشر
مهند يحى

الكتاب :فُرسَانُ الشَرق
تأليف : أحمد السيد أبو مكي
تصنيف الكتاب : رواية
إخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٣٧١ / ٢٠٢٠
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 6660 - 68 - 7

All Rights Reserved
Alkanzy for Publishing and Distribution
+01062104822
Alkanzy.co@gmail.com
info@alkanzy.net

فُرسَانُ الشَرق

رواية للفِتيان

أحمد السيد أبو مكي

إهداء

إلى تلك الروح الطيبة، التي أحاطت بي من كل جانب وأنا أَسطر حروف روايتي الأولى، إلى من وهبتني الحياة جنينًا، وهبتني الحياة وليدًا، وهبتني ملامح وجهها، وهبتني طولها وقليل من جمالها، لكنها بخلت عليَّ بأنسها في تلك الحياة، وتركتني بلا مأوى ولا جاه، إليك أمي سلامًا من أعماق القلب، إليك أمي أهدي أولى رواياتي، رحمة الله عليكِ وبركاته،

إلى من علمني القراءة، وأمرني بها مع الصلاة أمرًا، إلى سندي في الحياة، مصدر سعادتي وأفراحي، إلى الحضن الدافئ الذي أركن إليه في لحظات ضعفي، إليك أبي حبًا وعرفانًا، حفظك الله لنا وأدام ابتسامتك بيننا،

إلى إخوتي وأخواتي، إلى دكتور حسام الزمبيلي، إلى الأستاذ خالد جودة شكرًا وعرفانًا لمساعدته في تقويم وتقييم الرواية، إلى المهندس محمد نجيب مطر، إلى الجمعية المصرية لأدب الخيال العلمي وأعضائها، إلى كل أصدقائي المقربين، إلى قريتي «الجلاوية»،

إلى الراحل جمال عبيدة[1]-رحمه الله- الذي شجعني ووقف بجواري حينما حُذفت الرواية بالخطأ ولم أستطع استعادتها، وكتب لي بكل ودٍّ «أنت من كتبت، وكما كتبت اكتب مرارًا ولا تتوقف»

إلى شباب الوطن العربي الإسلامي جميعًا، اطرقوا باب الوحدة بقوة عساه ينفتح قريبًا، ويكشف عمَّا خلفه من قوة وعلم، إليكم سلامًا من القلب،

وأخيرًا إلى كل من قال لي: أنت فاشل لا يمكنك النجاح أبدًا، فأقول له مجرد المحاولة نجاح.

أحمد السيد أبو مكي

القاهرة ٤ ربيع الآخر ١٤٤٠ هـ

١٢ ديسمبر ٢٠١٨ م

---

١ - توفي في يوم ٩نوفمبر٢٠١٨م

مقدمة

انتصف القمر في كبد السماء، وأرسل أشعته الفضية على القرية، وتصارعت أغصان الشجر مع هذه الأشعة، وانتهت بالوفاق فتارة يصل الضوء إلى الأعشاب من بين أغصان الشجر، وتارة تحجب الضوء عنه في تمرد.

وفجأة.

قلت بذهول:

انظر يا إقبال! هل هذا نيزك؟

وقف إقبال مسرعًا، وأخرج من جيبه منظارًا متطورًا صغيرًا، ووجهه ناحية الجسم المتحرك بسرعة، ثم قال بذهول:

لا يا معتصم، هذا ليس نيزك! انظر.

واقترب الجسم من الأرض بسرعة رهيبة، حتى ظننا أنه سيحدث انفجارًا عظيمًا فوضعنا أيدينا في آذاننا، لكننا لم نسمع أي انفجار، فنظرنا فإذا بالجسم قد توقف على بعد أمتار منّا وكان الذهول يعصف بأبصارنا وعقولنا.

الاتِّحاد

إنه شهر محرم بداية العام ١٥٤٠من الهجرة (٢١١٥م)، هنا على كوكب الأرض في شمال القارة الأفريقية، في مصر، الشمال الشرقي لمحافظة سوهاج، حيث تلتقي الهضبة الشرقية بشاطئ النيل، لتحتضن قريتي -الجلاوية[٢]-، وهذه الهضبة التي تمتد إلى الساحل الغربي للبحر الأحمر، وقد تحولت من صحراءَ جرداءَ لا عشب فيها ولا ماء، إلى جنة خضراء، تزينها الأشجار وتعطرها الأزهار، بفضل عقار «الأمل» الذيً يزيد خصوبة التربة، ويجعلها تحتفظ بالماء لفترات أطول، لتستفيد التربة بالمطر القليل، والقليل منِ الري بالتقطير، فلا تكاد تنظر يميناً أو يساراً إلا وشجر التين العتيق يحييكَ بتمايله مع نسمات الهواء العليل، وشجر العنب المثقل بأطيب الثمار، وشجر الزيتون الصامد على مَر الزمان، الذي يعطيك أسمى معاني السلام، كل تلك الخضرة اجتمعت لتلقي البهجة في قلوب الناظرين.

٢ - قرية الجلاوية هي إحدى القرى التابعة لمركز ساقلتة بمحافظة سوهاج في جمهورية مصر العربية.

وعلى ضفة النيل الشرقية، يجلس صديقي «إقبال» تحت ظل شجرة يستمتع بعبير النيل الذي تحمله له نسمات الهواء العليلة، وهو شاب طويل القامة حنطي البشرة ذو عينين عسليتين وشعر شديد السواد متجعد كموج البَحر الثائر، كان جالسًا يقرأ في كتاب «تاريخ الأمم والملوك»، وغفا إقبال في هذا الجو اللطيف، ما بين نسمات النيل العليلة، وبين نسيم الكتاب العريق الذي يُذكّرنا بأخبار السابقين، فاقتربت منه قائلًا:

السلام عليكم يا إقبال.

فاعتدل ورد مبتسمًا:

وعليكم السلام صديقي معتصم، لقد انتظرتك كثيرًا، أين كنت؟

قلت له:

لقد مررت على منزلكم، ولكني لم أجدك هناك، فعلمت أني سأجدك في هذا المكان البديع الساحر.

قال وهو يمدّ لي ببضع تمرات:

حسنًا اجلس واستمتع بنسائم النيل العطرة.

فشددت يده لينهض وقلت له:

لا، بل سنذهب لوالدك لنستمع لنسائم ثورات الربيع العربي، فقد أخبرتني عائشة ابنة أخيك أنه سيقصها عليهم اليوم.

فذهبنا إلى بيت إقبال وألقينا التحية على والده «الشيخ سيد عبد العال» ذي البشرة الحنطية والوجه العريض والشعر الأبيض الذي يزيده

هيبةً ووقارًا، والابتسامة الصافية القادرة على جذب القلوب، قبلنا يده ثم جلسنا نستمع إليه وهو يقص على أحفاده الصغار بعضًا مِن قصص ثورات الربيع العربي الثانية، ونفحات قيام الاتحاد العربي الإسلامي، وكيف صمد الشباب العربي، وأثبتوا جدارتهم بتحقيق الحلم الذي انتظروه كثيرًا، بعد أن وحدوا كلمتهم وقالوها صريحةً، «الاتحاد هو الحياة».

بدأ والده بذكر الله والثناء على رسول الله، ثم قال:

أما بعد يا أبنائي، لقد اندلعت شرارة ثورات الربيع العربي الثانية في الثاني من جمادي الأولى ١٤٧٢ من الهجرة (٢٠٥٠م)، من نفس نقطة البداية لثورات الربيع العربي الأولى -أقصد تونس ومصر- ولاقت تأييدًا كبيرًا من شباب الخليج العربي، الذي رأى حكامه في ذلك الوقت يحاربون ثورات الشعوب العربية بكل ما استطاعوا من قوة وأموال، فثار الشباب الخليجيّ مطالبًا برحيل أولئك الحكام الذين ظلوا قابعين على صدورهم لعشرات السنين، فشغلتهم ثورة شعوبهم عن ثورة الشعوب الأخرى، في الوقت الذي بنى فيه الشباب وحدة مشتركة بينهم، وبعد أن نجح الشباب الخليجي في تغيير نظام الحكم لحكم مدني ثوري، أرسلوا لإخوتهم في مصر والشام والمغرب العربي ليجددوا فكرة الاتحاد، الذي يجمع شمل البلاد العربية تحت لواء واحد، كما جاءٍ في نص الخطاب الذي نقش في مقر الاتحاد بماء الذهب، والذي نصُّه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من شباب الخليج العربي؛ شباب الكويت والإمارات، شباب عمان والسعودية، شباب البحرين وقطر.

أما بعد:

فقد وفقنا الله إلى نيل حريتنا، وعملنا على إصلاح داخل البيت، ورتبناه من حيث لا يعيق الاتحاد في شيء، ألا يجب قيام اتحاد عربي إسلامي يجمع شملنا ويوحد صفنا، ويعلي كلمتيّ الحق والدين؟ ألم يوحدنا الإسلام بعد أن كنّا قبائل متناحرة؟ ألم نصل إلى أوج التقدم والحضارة حينما كنّا كما قال عنّا ربنا عز وجل: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ[٣]»؟ ألم نطأ الثريا حينما كنّا مصداقًا لما ورد عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى[٤]) ؟

يجب أن نعود لسابق عهدنا، ونرفع رايتنا خفاقة من المحيط إلى الخليج، إن فكرة الاتحاد ليست بجديدة، فإن العرب وجميع المسلمين، كانوا دائمًا دولة واحدة، منذ هجرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يفرق بينهم تعدد الألسن، ولا اختلاف الألوان، فكانوا إن ضعفت الراية في الحجاز رفعت في الشام، وإن ضعفت في الشام رفعت في بغداد، وإن ضعفت في العرب رفعها الأتراك؛ أمّا الآن جعلونا دويلات متناحرة، على الحدود وعلى السدود، وتركوا العدو في أرضنا ليسود، الآن ندعو إخواننا ونمد لهم أيادي الوحدة والعصمة بحبل الله، ولنبدأ معًا العمل لقيام اتحادنا العربي الإسلامي.

ننتظر الرّد الجميل منكم

٣- سورة الحجرات الآية ١٠

٤- (١) صحيح البخاري، برقم: (٦٠١١)، وصحيح مسلم، برقم: (٢٥٨٦)، واللفظ له.

وتقبلوا بخالص الود تحياتنا

إخوتكم عرب الخليج»

سألت عائشة جدها:

وهل كان للكنيسة دور كبير في تلك الثورات بجانب دور الأزهر الشريف يا جدي؟

أجابها قائلًا:

أمّا عن دور الكنيسة في ذلك الوقت، فقد كان لها موقفٌ بطوليٌّ يثبت مدى وحدة العرب باختلاف أديانهم، فالكل هنا يعبد الخالق، فقد جاءت كلمة بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية»القديس إنيانوس» حازمة رادعة، محطمة لكل آمال الاتحاد الأوروبي، الذي دعا الكنيسة المصرية للاستقلال عن الاتحاد العربي الإسلامي أو اللجوء إليه لحمايتهم -كما يدّعي-، وفي خطاب بثته جميع القنوات الإخبارية العربية الإسلامية، وقف في وسط ميدان التحرير، في يوم الاحتفال بذكرى قيام الاتحاد، ممسكًا بالهلال الذي يحتضن الصليب، قائلًا:

«يا أبنائي المصريين والعرب، المسيحين والمسلمين،

نحن أبناء نفس الأرض، فالمسيح موطنه فلسطين، والحجاز موطن الأمين، ومصر مسرى الأنبياء والمرسلين، فلا انفصال ولا هجرة من أرضٍ عشنّا فيها بحريةٍ تامةٍ، فنحن لم ننس جرائم دقلديانوس[٥] وأتباعه،

٥ - دقلديانوس، أشهر أباطرة الإمبراطورية الرومانية، الذي أعتلى العرش عام ٢٨٤ م، وأشتهر دقلديانوس بكراهيته الشديدة للمسيحيين.

ونحن نعلم سماحة الإسلام ونراها منذ أن جاء القائد عمرو بن العاص[٦]، والذي خلصنا منهم ولن نترك ديارنا ونهاجر لنكون لاجئين عندهم ليجعلونا عبيدًا لهم، ويقهروا أبناءنا، ونحن نحيا هنا في حرية وسلام»

وصمت قليلًا حينما فرت من عينه دمعة، ومن لا يتأثر بما روي عن عصر دقلديانوس الدموي، وكان يقف بالقرب منه شيخ الأزهر فاقترب منه ووضع يده على كتف القديس ورفع المصحف بيده الأخرى، وقال بصوت جهوري:

أنتم إخوتنا وأمانة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والله لن نضيع أمانته أبدًا.

صمت قليلًا ثم أردف قائلًا:

أما دور اليهود المتدينين -ناطوري كارتا- أو -حراس المدينة- فهم حركة أرثودكسية ترفض الصهيونية بكل أشكالها وتعارض وجود دولة إسرائيل، تعدادهم يقارب ٥٠٠٠ شخص وكانوا يتواجدون آنذاك في القدس ولندن ونيويورك الأمريكية.

وهم جماعة دينية يهودية تم تأسيسها في سنة ١٩٣٥م، كانت هذه المجموعة تعارض الصهيونية، وتنادي بخلع أو إنهاء سلمي للكيان الإسرائيلي، حيث أنها تقتنع بأنه يمنع اليهود من الحصول على دولة خاصة بهم حتى مجيء المسيح، ويركز أتباع هذا المذهب على الأدب الحاخامي، والذي ينص على أنه وبسبب خطايا اليهود فإنه تم طردهم من أرض

---

٦ - عمرو بن العاص: صحابي جليل وقائد إسلامي عظيم، وهو فاتح مصر تمتع بعقلية قيادية مميزة مكنته من اجتياز العديد من المعارك والفوز بها.

إسرائيل، كما أنهم يعتبِرون -بناءً على التلمود البابلي- أيَّ محاولة لاسترداد أرض إسرائيل بالقوة هي مخالفة للإرادة الإلهية، ويعتقدون بأن إعادة دولة إسرائيل ستتم فقط عندما يأتي المسيح، وقد أقر الحاخام «موشيه هيرش» في القرن العشرين بأن الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات[٧] هو القائد الشرعي والقانوني لدولة فلسطين، والتي تشمل ما يعرف بدولة إسرائيل[٨].

وقد كان لعلمائهم الذين استطاعوا التخفي وسط علماء مفاعل «ديمونة»، دور بارز في إبطال عمله، وبمساعدة رجال المقاومة الفلسطينية، تمكنوا من السيطرة على القبة الحديدية وهي نظام دفاع جوي بالصواريخ ذات القواعد المتحركة، الذي طورته شركة رافئيل لأنظمة الدفاع المتقدمة وكان الهدف منه هو اعتراض الصواريخ قصيرة المدى والقذائف المدفعية[٩]، فأصبح الكيان الصهيوني بدون غطاء لصد الهجمات، وبدون أسلحته المدمرة، مما أثار الذعر في وسط المستوطنات الصهيونية، مما جعلهم يعلنون النفير العام، وقد خرجت الطائرات المدنية، تقل الآلاف من اليهود الصهاينة خارج فلسطين، متجهين إلى الاتحاد الأوربي، والولايات الأمريكية قبل حربها مع كوريا الشمالية المدعومة من بعض الدول الناقمة على أمريكا، وهرب بعض من الجماعة الصهيونية، واعتقِل كثيرٍ منهم ممن حاولوا التصدي للجيوش العربية المُحَاصِرة لهم،

٧ - ياسر عرفات سياسي فلسطيني وأحد رموز حركة النضال الفلسطيني من أجل الاستقلال.

٨ - https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=159364 «ملتقى أهل الحديث»

٩ - https://ar.wikipedia.org/wiki الموسوعة الحرة ويكبيديا

وصودرت أموالهم لصالح المقاومة العربية لإعادة إعمار فلسطين، بأموال الشعب الفلسطيني التي سرقوها، ثم حُكم بالإعدام على قياداتهم وكبارهم للقصاص للفلسطينيين والعرب منهم.

وعادت فلسطين يا أبنائي في عام (١٤٧٥هـ) تضم الديانات الثلاثة، وكل منهم يؤدي شعائره بحرية تامة، وعم السلام على القدس بعد مرور قرنًا من الزمان -تقريبًا- تحت أيدي المغتصبين الصهاينة، إن لكل ظالم نهاية، ولكل ليلٍ مهما طال فجر سعيد.

هيا يا أبنائي فقد اقتربت صلاة العصر، وبعد الصلاة ألقاكم في درس مقارنة الأديان في المسجد.

ونودي لآذان العصر، فسرنا بين الحقول الخضراء حتى وصلنا المسجد القريب، فتوضأنا وأدينا صلاتنا، ثم التفت الشيخ «سيد عبدالعال» إلى الحلقة التي تضم أطفالًا صغارًا ينتظرون الدرس الأسبوعي لمقارنة الأديان، وقال بعد أن حمد الله وأثنى على نبيه الكريم:

اليوم يا أبنائي موعد درس مقارنة الأديان، وحدثتكم في الدرس السابق عن الفرق بين مصطلحات الإسرائيلي واليهودي، من يذكرنا اليوم بهم.

استأذن مصعب فبدأ بتلاوة قول الله تعالى في القرآن الكريم وقال:

«كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ

(٩٣)[١٠]»، إن الآية الكريمة توضح أن هناك شخصًا اسمه «إسرائيل» وهو بالإجماع يعقوب عليه السلام، إذن بنو إسرائيل هم ابناء يعقوب، وأبناء يعقوب اثنا عشر منهم يوسف عليه السلام، ومن نسلهم، بالتالي يمكننا القول إن تسمية إسرائيلي هي تسمية قومية وليست دينية فليس كل اليهود إسرائيليين، مثلهم مثل العرب فليس كل المسلمين عرب.

قال له الشيخ سيد:

أحسنت يا بني، ومن يذكرنا بمصطلح «يهودي»؟

قال محمد:

اليهودي: هي تسمية دينية تطلق على كل من يتبع الديانة اليهودية، واليهود يتبعون موسى عليه السلام وكتابهم التوراة بالإضافة إلى التلمود، وهو كتاب من تأليف حاخامات اليهود يحتوي على خرافاتهم وأساطيرهم، واليهود يعتبرون كل مولود لأم يهودية يهودي، ثم أصبح حتى المولود لأب يهودي وأم غير يهودية يعتبر يهوديًا أيضًا، حتى وإن لم يمارس الطقوس والشعائر اليهودية، ما لم يعتنق ديانة أخرى، إذن اليهود نسبة للديانة.

قال الشيخ سيد بابتسامة:

أحسنتم يا أبنائي، والآن أحدثكم عن «العبري – الصهيوني»

أمّا العبري: يمكننا أن نعتبر هذه التسمية قومية أيضًا أو عرقية، وهي من أقدم التسميات التي تطلق على أعضاء الجماعات اليهودية، ويقال

١٠ - آل عمران الآية٩٣

أيضًا عبراني التي جمعها عبرانيون، والتسمية لا يعرف لها أصل، إلا أن أقرب التفاسير تشير إلى اشتقاقها من العبور، إذ أن اليهود ينسبون كلمة عبري إلى عبور يعقوب لنهر الفرات، ويفضل العلمانيون منهم استخدام كلمة عبري على كلمة يهودي، لأن كلمة العبرانيين تشير إلى ما قبل ظهور الديانة اليهودية، أي أن مصطلح عبري يؤكد الجانب العرقي على حساب الجانب الديني فيما يسمى القومية اليهودية، والخلاصة -يا أحبابي- هي أنه يمكن اعتبار كلمة عبري مرادفة لكلمة إسرائيلي، وتستخدم أيضا للدلالة على اللغة التى تحدثت بها هذه الجماعات وهى اللغة العبرية القديمة كما تُطلق على الأدب الذى أُنتج بهذه اللغة باختلاف العصور (قديم ووسيط وحديث) فالأدب العبرى هو الأدب الذى استخدم اللغة العبرية للتعبير بصرف النظر عن اللغة المستخدمة بين الشعوب التى عاش بينها اليهود فى مراحل تاريخهم المختلفة. ولقد ارتبط الأدب العبرى الحديث بالحركة الصهيونية ارتباطًا وثيقًا إلى درجة جعلت هذا الأدب يستخدم الأشكال الأدبية المعروفة من قصة ورواية ومسرحية وشعر فى خدمة فكرة الصهيونية والدعاية لها بين الجماعات اليهودية فى أوروبا وأمريكا.

أمّا الصهيونية فهي تسمية حركية تنظيمية تُطلق على كل من يؤمن بأفكار الحركة الصهيونية، فليس كل اليهود صهاينة، والحركة الصهيونية هي حركة سياسية كانت تهدف إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين، وشجعت هجرة اليهود إلى فلسطين من كل أنحاء العالم، بإغرائهم بالأماني والأحلام الوردية، التي كانت تنتظرهم في الأراضي الفلسطينية، والتي روجت أن فلسطين أرض بلا شعب، وقد تأسست الحركة الصهيونية عام ١٨٩٧م في مؤتمر في مدينة بازل بسويسرا، ويعتبر الصحفي اليهودي الهنغاري

ثيودور هيرتزل مؤسسها، وقد سميت صهيونية نسبة إلى كلمة صهيون وهو جبل يعتبرونه أقرب مكان لبناء الهيكل في القدس، وصنفت الحركة الصهيونية عند المسلمين والعرب بحركة إرهابية منذ بدايتها، ويعتقد بعض المتدينين اليهود أن فلسطين أرض الميعاد قد وهبها الله لبني إسرائيل فهذه الهبة أبدية لا رجعة فيها، إلا أنهم غير متحمسين للصهيونية لأن دولة إسرائيل في معتقدهم لا يجب أن يقيمها البشر، وقد زالت كل هذه التسميات مع زوال الكيان الصهيوني، وبقيت الديانة اليهودية، في قلوب المتدينين منهم والذين ساعدوا الاتحاد في مواضع كثيرة(١١).

وختم كلامه قائلًا:

قال تعالى «قُلْ يٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَن لَّا نَعْبُدَ إِلا اللهَ، وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُوْنِ اللهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْ فَقُوْلُوْا اشْهَدُوْا بِأَنَّا مُسْلِمُوْنَ(١٢)» صدق الله العظيم.

وانتشر الصغار بعد أداء صلاتهم، منهم من ذهب ليلهو في ملاعب القرية ومنهم من ذهب ليجمع الثمار مع والده، ومنهم من عاد لبيته ليساعد أمه في الأعمال المنزلية.

قلت لإقبال:

ما رأيك أن نصعد الهضبة اليوم؟ إن الجو من بعد غروب الشمس يكون رائعًا.

---

١١ - https://www.almrsal.com/post/428000 مدونة المرسال «بتصرف»

١٢ - (آل عمران:٦٤)

قال إقبال بحماس:

هيا بنا.

واتجهنا إلى أحصنتنا التي ما زالت على مر الزمان الرياضة المحببة لجميع العرب والمسلمين، عملًا بوصية الفاروق عمر، فإن مشيتها رقصة زهرة ربيعية، وصوتها موسيقى ملحمة بطولية، ووفاءها أمان، ونظراتها حنان، وقال فيها الأقدمون خير كلام، قال ابن عباس رضي الله عنه:

إذا ما الخيل ضيعها أناس، ربطناها فشاركت العيالا

نقاسمها المعيشة كل يوم، ونكسوها البراقع والجلالا

وقال أبو الطيب المتنبي:

أعز مكان في الدنى سرج سابح، وخير جليس في الزمان كتاب

وسلكنا الطريق الممهد لأعلى الهضبة، ونحن نتسابق فيسبقني تارة وأسبقه أخرى، حتى وصلنا إلى أعلى قمة الهضبة الخضراء، وجلسنا متكئين على جذوع شجر السدر العملاق، واتجهت أبصارنا نحو الشمس وما تتركه خلفها من الشفق الأحمر الجميل، الذي تطبعه على صفحة السماء في وقت الغروب، تنظر إليها كأنها عروس تجرّ وشاحها الأحمر خلفها، وتعكس صورتها على صفحة النيل الصافي، وكأن العروس تنظر لجمالها في مرآتها، أو كأنها لوحة ثورية، تجمع دماء الشهداء وبريق الأمل الصافي في نظرات الثوار.

وبعد دقائقٍ اعتزلت الشمس السماء، وقررت تنحيها، لتعطي القمر دوره، لينصّب شاهدًا على الأكوان، واعتدلنا ووجهنا أبصارنا

ناحية الشرق، لنتابع مراسم تنصيب القمر الرسمية، فما أجمل هذا الكون وما أجمل النظام في سيره، فسبحان القائل «**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ**[١٣] **﴿٧﴾**»، وقوله تعالى «**لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**[١٤] **(٤٠)**»، وما زلنا جالسين ونتبادل أطراف الحديث، فبالرغم من أننا في نفس الجامعة (جامعة الطور)، ونفس الكلية (كلية العلوم)، ونفس القسم (الفلك والاتصال بالفضاء الخارجي)، إلا أننا لا نحظى بمثل هذه الجلسة مع بعضنا إلا في الإجازة، وخاصة في قريتنا الجميلة-الجلاوية.

وكنا قد شاهدنا فجأة ما ظننته نيزك، لكنه كان جسم غريب قد توقف على بعد أمتار منّا والذهول يعصف بأبصارنا.

***

١٣ - سورة الرحمن(٥-٦-٧)

١٤ - يس (٤٠)

الكوكب المرمري

اقتربت أنا وإقبال ببطء، وحذر شديد، حتى وصلنا إلى هذا الجسم الفضائي، الذي يشبه رأس الهرم ذهبي اللون، ويبلغ قطره حوالي مترين ونصف أو ثلاثة أمتار، وارتفاعه تقريباً متران، وفوق رأس ذاك الهرم قبة فضية تشع بلون أزرق مثل أشعة البرق، وكتب على شاشة صغيرة بعض الرموز، التي حين رآها إقبال فغر فاه، وهمس لي قائلًا:

إن هذه الرموز هي نفس الرموز التي أخبرتك عنها.

نظرت إليه بذهول، وسألته:

هل تعني أن هناك علاقة بين هذه الرموز وتلك التي ظهرت على الحاسوب الخاص بك؟!

أومأ إقبال برأسه، قطع حديثنا توهج هذا الجسم الفضائي، وارتفع غلافه الأمامي للأعلى كمثل المظلة وسط ذهول يكاد يفتك بعقولنا، لينفتح قلبه ويظهر من خلفه ضوء أبيض ساطع، لدرجة أننا لم نستطع فتح أعيننا تجاهه، ثم خرج رجلان من وسط الضوء، على هيئة البشر أجسادهم مرمرية اللون، ويسطع من وجهيهما ضوء لؤلؤي ناصع، وبدأ

ضوء المركبة يخفت تدريجيًّا وبدأت الرؤية تتضح لنا، لكن عندما فتحنا أعيننا سرت في جسدنا قشعريرة اندهاش ورهبة، وبرقت أعيننا بضوء جسديهما، وكنَّا لا نصدق ما ترى أعيننا، ففركناها ولكن لم يتغير شيء أيضًا، فنظرنا لبعضنا نظرات استفسار وكل منّا يريد أن يسأل الآخر، ويقول له:

هل نحن في حلم؟ أم ما هذا الذي نراه؟!

لكن قُطع تفكيرنا عندما تحدث أحد الشخصين، بلغة غير مفهومة، لكن كان يحمل جهازًا ترجم كلماته للغة عربية سليمة، قال:

لا داعي لهذا القلق والخوف الذي يبدو عليكما.

نظرنا إلى بعضنا بذهول، فأخذ إقبال نفسًا عميقًا وهمَّ أن يتحدث، لكن الكلمات اختنقت في حلقه.

أردف هذا الكائن المرمري، قائلًا:

أنا أبينوس بن بيجاد الحفيد الخامس والعشرون من هجين جدنا الأكبر السيد إمحوتب البشري والسيدة نيفان المرمرية، من سكان كوكب المرمر.

نظرت إليه بدهشة، وتساءلت قائلًا:

إمحوتب المصري، والسيدة نيفان المرمرية؟!!

أجابني أبينوس:

نعم، نحن هجين من البشر وأهل الكوكب المرمري الذي ترك اسمه على كل شيء داخله فإن كل المخلوقات والعناصر مشابهة لكوكبكم إلا أنها تصطبغ بلون المرمر.

قاطعته قائلًا:

أتريد إقناعي أن إمحوتب وصل بعلمه إلى خارج الأرض؟!

لا أريد إقناعك لكن هذا ما حدث وهذه قصة طويلة أقصها عليكم في كوكب المرمر بعد قليل إذا تكرمتم وأتيتم معنا؟!.

نظرت إليه بغضب وقطبت حاجبيّ وقلت بذعر:

أي كوكب؟! نحن لن نذهب لأي مكان.

نظر إليَّ أبينوس وابتسم لتظهر أسنانه التي تلمع باللون الأبيض البراق، الذي بعث في قلبي رهبة خفية، وقال لي:

أما زلتما خائفين؟!

قال إقبال بحزم:

أيجب أن نثق بك لمجرد كلمات، وكلمات لا تصدق أيضًا؟

نظر أبينوس إلى صديقه الذي خرج من المركبة معه، وقال:

أعطني الجهاز يا نيني سافا.

دخل نيني سافا إلى المركبة ثم خرج بعد قليل، ومد أسطوانة زجاجية صغيرة تبلغ حجم عبوة المياه الغازية، يحدها من الجانبين قطبين من مادة

مرمرية، ووضعها على الأرض، ليبدأ شعاعان أزرقا اللون من القطبين المرمريين يتصلان ببعضهما، ثم يتفككان لخيوط ليزرية زرقاء صغيرة، وتتكاثر هذه الخيوط بسرعة كبيرة حتى تشكلت صورة هولوجرامية لنا ونحن في معمل الكلية، لتعرض فيديو مسجل لنا ونحن نتحدث عن كيفية التواصل مع العوالم الأخرى، ثم عرضت إقبال وهو يعبث ببعض الأزرار في جهازه، وهو يقول لي:

انظر لتلك الرسالة يا معتصم، لا تقبل الترجمة ولا أدري ماذا تعني؟

فقلت له:

قد يكون مطورو البرامج غيروا لغة البرمجة.

فقال لي:

لا فهذه اللغة بها شبه كبير بالهيروغليفية.

فضحكت، وقلت ساخرًا:

احترس إذن فقد تصيبك لعنة الفراعنة.

ثم ضحكنا كثيرًا.

أوقف أبينوس الفيديو وقال:

لقد أرسلنا لكم رسالة لنقدم لكم المساعدة، وقد وافق غيركم من بلاد أخرى على ذلك، ووجه كلامه لإقبال: وأنت وافقت على بنود تلك الرسالة.

صاح إقبال بغضب فَزِع:

تساعدوننـــــا؟ في أي شيء تساعدوننا؟ وأيضًا لم أفهم ما كانت تتضمنه الرسالة.

قال نيني سافا:

لم نأت لنؤذي أحد، فقط جئنا للمساعدة وتحذيركم من خطر شديد سيحل بكوكب الأرض إن لم يجد من يمنعه، وإن دمر كوكب الأرض سيصيبنا بعض الضرر أيضا، لأنه يتسرب من الشبكة الكونية.

صمت قليلًا. ثم قال بابتسامة:

ونحمل لكم أمانة أيضًا.

انتابني الفضول فقلت:

وما هي تلك الأمانة؟!

نظر إليَّ إقبال كأنه يريد أن يسأل نفس السؤال، فضحك أبينوس وقال:

ستعرفان كل شيء، لكن الآن يجب أن نرحل، فلا نستطيع البقاء خارج كوكبنا أكثر من ذلك، لاختلاف الهواء هنا عن الهواء في كوكبنا، وهناك سنخبركم بكل شيء.

وأردف مبتسمًا: ولا تقلقا فلن نأخذ من وقتكم كثيرًا.

فلما أصررنا على رفضنا، وجه أبينوس إلينا شعاعًا ليزريًّا يخرج من خاتم ذي هيئة فرعونية يرتديه في إصبعه، مما جعلنا نفقد جزءًا من وعينا كأنه التنويم المغناطيسي، وهو يقول:

أعلم أنكم ستعذراني حينما تعلمان حقيقة الخطر المحدق بكما وبأهل الكون جميعا.

أدخلانا إلى المركبة وأجلسانا في أماكن قد خصصت لنا، ونحن نجول ببصرنا في مكونات هذه المركبة العجيبة من الداخل والتي أخبرنا أبينوس أن من بناها هو جده إمحوتب مع إجرائهم عليها بعض التطويرات لتناسب العصر وتبقى كما هي المركبة الملكية الأولى لملك الكوكب، وهذا جعلنا ننظر لبعضنا بعضا بذهول، ونزل الغلاف الخارجي لتقلع المركبة راحلة عن كوكب الأرض، تشق طريقها لتعبر الغلاف الجوي وتختفي كنجم أزرق في الفضاء السحيق.

فتحت عينيّ فإذا بكائنين غريبين، يتهامسان بلغة غريبة، ونظر أحدهما لي بشراسة، وأخرج سلاحا ليزريا ووجه فوهته تجاهي، وابتسم ابتسامة ملأها الشر، وضغط على زناد السلاح، وظننت لوهلة أني هلكت لا محالة، فانطلق صوت السلاح مدويا ليصمّ آذاني وتيقنت أني هلكت، لكني فتحت عينيّ فوجدت أبينوس ممسكا بسلاح شبيه بسلاح الكائن الغريب، والكائنان ملقيان على الأرض جثتين هامدتين، فابتسم أبينوس قائلا:

لقد جئت لإنقاذكما.

انتفضت من نومتي فتيقنت أني كنت أحلم، فتنفست الصعداء ونظرت حولي بذهول، وفركت عينيّ لأتأكد أني لست أحلم مجددا، ولأرى ما حولي جيدا، وتسائلت في نفسي:

ما هذا الجمال؟ ما هذه الغرفة العجيبة؟ هل نحن في غواصة بحرية؟ لكن ما هذه الأشكال الغريبة من الحيوانات البحرية والأسماك؟ ولِمَ لم تنقلها لنا كاميرات الغواصين؟ أنا أول مرة أرى مثلها.

وما كانت هذه الغرفة إلا عبارة عن بلورة مرمرية كبيرة، وحينما تنظر لأعلى كأنك تنظر في تجويف قبة الصخرة، اللون الذهبي الجميل والزخرفة العمرانية هي نفسها، والنوافذ بلورية تعرض ما يقع خلفها وكأنها تحتضنه بيديها، وبدوره كرضيع ينظر بخجل من وراء يدا أمه وهي تحتضنه، تطل على قاع بحر أو محيط مائي، ممتلئ بأجمل الكائنات البحرية والأسماك والشعب المرجانية الفسفورية، التي تضيء القاع باللون السماوي، كمثل الضوء الصباحي في فناء المسجد بعد صلاة فجر في يوم ربيعي، نظرت خلفي لأجد إقبال بالجانب الخلفي من الغرفة المرمرية قائمًا يصلي، وفي الخلف أيضًا باب فضي اللون كبير ويحيط به إطار ذهبي لامع.

أنهى إقبال صلاته، واقترب منّي مبتسمًا، وقال:

ها أنت قد استيقظت.

نظرت إليه بذهول وتعجب من طمأنينته وقلت:

أين نحن؟! وما هذا المكان؟! أم أني أحلم؟!.

قاطعني إقبال بابتسامة ليطمأني وقال:

لا تقلق يا صديقي، فنحن هنا على كوكب المرمر، وهذه غرفة في قاع المحيط المرمري كما يسمونه ولا تتعجب فإن كل شيء هنا يضاف

إليه صفة «مرمري»، لكن هيا الآن سنذهب في جولة مع أبينوس ونيني سافا، لنرى لما نحن هنا؟.

فسألته:

هل نمت كثيرًا؟

قال ضاحكًا:

نصف يوم مرمري.

فخرجنا من الغرفة وأنا أقصص عليه ما رأيت، فاستبشر وقال ضاحكًا:

إنه العقل الباطن يا صديقي.

تبسمت وقلت:

لعله كذلك.

قابلنا نيني سافا فأعطانا قناعين مزودين بأجهزة تزيد كمية الأكسجين الداخلة للجهاز التنفسي، لنقص نسبة الأكسجين في هواء هذا الكوكب، وصعدنا في مصعد مغلق من ثلاثة جوانب بالمعدن الذهبي، والجانب الرابع زجاجي يطل على المحيط المرمري، ويطل على أجمل المناظر الطبيعية لأعماق البحار، التي تقل ظلمتها كلما صعدنا واقتربنا من سطح المحيط، ثم خرجنا من باب عملاق، وحوله كورة بيضاء لامعة، تظن من أول وهلة أنها جوهرة مرمرية أيضًا.

قال أبينوس بسعادة واضحة على وجهه:

مرحبًا بكم في كوكبنا المرمري.

ابتسمنا وتعجبنا من تحول الجهاز الوسيط المترجم من جهاز كبير نسبيًا، لسلسلة صغيرٍ بنفس الجودة، ورحبنا به وجال بصرنا في البساتين الخضراء العجيبة رغمًا عنّا، فالزهور الجميلة التي تلقي بعطورها علينا من على بعد أمتار، وهذه الطيور الغريبة الشكل، شديدة الجمال، تغرد في نظام لتعزف أجمل المقطوعات الموسيقية، وبجوار هذه البساتين الخزامية اللون الممتدة إلى ما لا نهاية والتي تملأ القلب من جمالها جمالًا يبهج الروح. ثم اقتربنا من بحيرة لون ماؤها خزامي نظرت إلى أبينوس وسألته:

لماذا يبدو الماء خزامي اللون؟

أجابني أبينوس وهو يميل ليلتقط أحد الصخور من على الأرض، وقال:

لأن كل رماله متفتتة من هذه الصخور، التي تأتي من الجزر الجبلية الموجودة في وسط هذا المحيط العذب، والذي أخبرنا عنه أجدادنا أن هذا الجبل كان عبارة عن بساتين من زهور البنفسج الخزامي، وحدث لها تصخر، فحينما تنزل عليه الأمطار تذوب الصخور البنفسجية، ومع نقاء الماء يذوب البنفسج وتتحول درجته لتصبح بذلك اللون الخزامي.

أخذت الصخرة من أبينوس، وقلبتها بين يديّ، وقلت له:

أتعني أن وسط هذا المحيط جبال من بساتين زهرية؟

أومأ أبينوس برأسه، وقال:

نعم، ولكن ليس الجبال التي في وسط المحيط فقط لكن أغلب جبال الكوكب تتكون من تصخر البساتين في العصور الغابرة، هيا سنسلك هذا الطريق.

وأشار إلى طريق من صخور ذهبية مصفوفة كالصخور التي في أرضيات المعابد الفرعونية، وعلى جانبي الطريق الزهور الفواحة والأشجار جميلة المنظر، التي تحتضن الطيور المغردة، وبعد كل مسافة ترى بلورة إما زرقاء أو بيضاء، يشير إليها أبينوس ويقول إنها مداخل للمنازل والمباني، تعجبنا من هذا الجمال فالعامل في عمله تحيطه المناظر الخلابة، وفي طريقه تحيطه المناظر الخلابة وألحان الطيور.

قال إقبال وهو ينظر لأبينوس بتعجب:

ولكن كيف وصل إمحوتب إلى هنا؟! هل كان كلام أبي صحيح عندما حدثني عنه حينما كنت صغيراً؟!

نظر إليه أبينوس وابتسم، وصمت قليلًا، ثم قال:

وماذا أخبرك والدك؟

قال إقبال:

كان ذلك حينما اتفقت السلطات المصرية مع الحكومة الفرنسية على إرجاع الآثار المصرية الموجودة في متحف اللوفر، وكان من ضمنها تماثيل كثيرة لإمحوتب، فسألت أبي:

من هو ذلك الفرعون الذي كان يحظى باهتمام كبير في عصره لتلك الدرجة التي يصنعون له كل هذه التماثيل؟!

قال لي أبي: أن إمحوتب -يا صغيري- من أكثر الفراعنة غموضًا على الإطلاق وأعظمهم عبقرية في تاريخ مصر القديمة، لأنه ظهر بشكل مفاجئ ومجهول في التاريخ الفرعوني القديم، وعرف بعقليته الجبارة

الفذة التي أذهلت كل الذين عاصروه، بل واعتبره المصريين القدماء إله المعرفة، وأقاموا له الكثير من التماثيل. ويوجد في متحف اللوفر فقط خمسون تمثالًا له.حتى أن الإغريق والرومان قد عبدوه فيما بعد، لقد كان إمحوتب نابغة في فن العمارة والنحت وفي معظم فروع الطب، بل هو أول طبيب نعرفه بالاسم في تاريخ البشرية، حيث اخترع عشرات العقاقير الطبية من الأعشاب، ووصف عشرات الأمراض والإصابات وصفًا علميًا دقيقًا.

فلما قلت لوالدي:

ألم يكن مهندسًا، وهو الذي بنى هرم زوسر؟

ابتسم والدي قائلًا:

نعم لقد كان إمحوتب أول مهندس معماري في التاريخ، وعلى الأرجح أول من استخدم الأعمدة في بناء العمران. وهو صاحب تصميم هرم زوسر في سقارة في فترة ما بين «٢٦١١-٢٦٣٠» ق.م، وتشير بعض الدلائل إلى أنه كان أول منجم في التاريخ، وقيل إنه هو الذي اخترع الكتابة والتقويم الفلكى، وكان مبدعًا أيضًا في العديد من المجالات الأخرى، حيث عرف بموهبته الشعرية، وباختراعاته العديدة، منها الحبر الأسود الذى لم يكن معروفًا عند الفراعنة، وبسبب عبقريته الفذة حصل إمحوتب على عدة وظائف في قصر الملك الفرعونى زوسر من الأسرة الثالثة فقد كان المشرف العام على إدارة القصر والمنشآت الملكية، بل وأصبح فيما بعد وزيرًا مع العديد من الامتيازات الأخرى التي كانت مقتصرة فقط على الفراعنة «الطبقة الحاكمة»، والتي لم يكن

يحتك بها أحد في ذلك الوقت، حتى أنه كان في وقت من الأوقات الرجل الأول بعد الملك[١٥]. صمت والدي قليلًا.

فسألته:

ولكن أين يوجد قبره يا والدي؟

فنظر إليّ والدي، وقال لي:

لقد اختفى إمحوتب فجأة! دون أي مقدمات! اختفى تمامًا ولم يعد التاريخ الفرعونى يتحدث عنه إطلاقًا! ولم يعثر العلماء على مقبرته حتى الآن! وانتشرت الإشاعات غير المؤكدة عن رحيله عن الأرض إلى كوكب المريخ أو -الكوكب الأحمر- وقد قوى هذه الإشاعات نشر موقع «هافنجتون» الإخباري خبر يتضمن معلومات من وكالة ناسا الفضائية الأمريكية، وهو أن وكالة ناسا ومن خلال المسبار "كورسيتي" الذي صممته من أجل عمليات البحث والاستكشاف للكوكب الأحمر، اكتشفت هرمًا يشبه كثيرًا أهرمات الفراعنة، على سطح الكوكب الأحمر وتابوت فرعونى يضم مومياء أيضًا... وهذا جعلهم يعتقدون أن الحضارة الفرعونية استطاعت أن تخترق الفضاء، وتصل إلى كوكب المريخ، بل وتقيم عليه هرمًا رمزًا لحضارتها، وفي الأخير كان اسمه في اللغة المصرية القديمة يعني «الذى جاء بسلام» فمن أين جاء؟! وإلى أين ذهب؟! لا أحد يعلم. حتى الآن

---

١٥ - موسوعة حكام مصر من العصر العتيق للفراعنة مرورا بعصر الإسكندر والبطالمة وحتى الرومان

قال أبينوس:

حقًا كان من العظماء لذلك ساعده أجدادي سكان كوكب المرمر، عندما خرج هاربًا إلى جنوب غرب الجيزة، هربًا من بطش الملك «خع با»، بعد أن رحل الملك «سانخت» وكان يطارده لحقده على مكانته التي وصل إليها دون غيره عند الملك زوسر حتى أنه فاق أبناء الفراعين منزلة، فهرب بمركبته التي بناها في الموقع الذي يطلق عليه العلماء هرم باكا أو بيكيرس[١٦] جهلًا بهذا الصرح العظيم، الذي كان أول مركبة بشرية تخرج إلى الفضاء، ونظرًا لاستهلاكه كل الوقود الذي كان معه فشل في الإقلاع من على كوكبنا، ومن ثم لم يستطع العودة، حتى وجده حراس كوكب المرمر، الذي كان يسكنه أجدادي وحاول مقاومتهم لكن نقص كمية الأكسجين كانت قد أثرت عليه، لتحطم قناعه الذي كان معه، ففقد وعيه فكان على وشك الموت، فأنقذوه وأخذوه إلى مركبته بأمر من قائدهم، وكانت مركبته تحتفظ بكمية كافية من الأكسجين، واستطاع أن يرمم قناعه ليجمع أكبر كمية من الأكسجين ويوصلها لرئتيه، ولمّا كان صعب التواصل بلغتنا معه، تواصلنا بلغة الإشارة، وهو بدوره تعلم لغتنا ووضع لنا أول طرق كتابتها، وعلمنا الكتابة الهيروغليفية، ولغته القديمة التي تغيرت لغتكم عنها كثيرًا، ولما ظهرت موهبته وعلمه حدث أول اتصال مباشر وارتباط بين كوكبنا وكوكب الأرض، حيث طلب أمير الكوكب «مورهان» من إمحوتب أن يزوجه ابنته الأميرة نيفان، بالرغم من الاختلافات الكبيرة والمعوقات التي واجهت

١٦ - هو مصطلح يستخدمه علماء الآثار وعلماء المصريات لوصف الممر الكبير والذي هو جزء من هرم غير مكتمل البناء في زاوية العريان بمصر.

ذلك الاتصال، إلا أنه أخيرًا نجح وجئنا نحن ثمرته، وكان ذلك ليضمن الأمير مورهان بقاءه على هذا الكوكب.

قلت بدهشة:

ولم كان يريد أن يضمن بقاءه على هذا الكوكب؟ وكيف أخبرتنا أنك الحفيد الخامس والعشرون له ولقد مر عليه أكثر من أربعين قرنًا من الزمان؟!

ابتسم أبينوس، ونظر إلى الأبنية الزجاجية والبلورية المصممة بأعجب التصاميم الهندسية، ثم نظر إليَّ قائلًا:

سأجيبك أولًا على النقطة الثانية وهي أن أعمارنا تتعدى القرنين من الزمان من تقويمكم، وثانيًا: أترى كل هذه العبقريات الهندسية؟ كل هذه التصاميم وكل هذه الفنون، علمها المهندس البشري لأهل الكوكب، عندما طلب من الأمير مورهان بناء مدرسة ليعلم فيها الهندسة المعمارية، وها هي المدرسة تطورت حتى أصبحت من أعظم المدارس الكونية، التي تدرس الاتصال بين العوالم المختلفة، فهذا الجهاز الذي يترجم لك كلماتي من إنشائها، والمركبة التي أتيتنا بها إلى هنا هي التطوير المناسب لمركبة جدنا إمحوتب التي كانت مكونة من النحاس والفيروز لكن قمنا بتطويرها، وكل شيء كان سببه الثورة العلمية التي حدثت بعد أن أتم أول مجموعة من الذين تقدموا للدراسة في مدرسة إمحوتب دراستهم، وفتح كل منهم مدرسة أخرى ليعلم غيره حتى أصبح كوكبنا الكوكب الأول في التواصل مع سكان الكواكب الأخرى، وذلك بفضل استغلال أمير

الكوكب لعلم جدّنا إمحوتب، وبذلك استطعنا تطويع سكان الكواكب الأخرى، فلنا ولاؤهم ولهم مساعدتنا في حل مشكلاتهم.

قال إقبال بدهشة:

أتعني أن كل هذه الحضارة ظهرت بسبب رجل واحد؟ وتعني أن كل كوكب به سكانًا مختلفين؟

أبينوس:

نعم، فإن أعطيت أحد الأذكياء الحكم ستظن أن كل من يعمل تحته ذكيًا، لكن إن أعطيت أحد السفهاء الحكم سيقضي على الأذكياء ويدمر كل معالم الحضارة، وأيضًا هذا الرجل الواحد، ساعده شعب كامل، أراد بناء حضارته، ولكن للأسف حينما تمكنا من زيارة كوكب الأرض منذ سبعين عام من تقويم كوكبنا، كان الدمار مسيطر على الكوكب كله، وكان دخان الحرب يتصاعد من كل مكان، فحزنّا أن صار موطن معلمنا ساحة حرب وقتال.

نظرت لإقبال قائلًا:

لكن إلى أين نحن ذاهبون كل هذه المسافة؟ لقد تعبت من السير.

قال أبينوس مبتسمًا:

لقد اعتدتم في كوكبكم على الراحة، فصنعتم كل سبيل إليها، دون أن تراعوا حق بيئتكم، ثم استعملتم تقدمكم في تدمير كوكبكم، لكن القوانين التي وضعها حكماء الكوكب منعت استخدام أي من المواد التي تسبب خللًا للنظام البيئي، حسنًا ها نحن قد وصلنا.

بدا الخجل على وجهي أنا وإقبال، واحمرت وجوهنا وتذكرنا الحرب الأمريكية الكورية في نصف القرن الماضي، التي أنهت الحضارة الأمريكية، بسبب جنون حكام كلا الدولتين، ووقوف بعض الدول المعادية للسياسات الأمريكية في صف كوريا، مما تسبب في دمار هائل.

قطع فترة صمتنا كلمة أبينوس:

هيا ادخلا.

ونظرنا إلى البلورة الزرقاء أمامنا والباب الفضي ذي الإطار الذهبي، ودخلنا فإذا نحن في مصعد كالذي كنّا فيه في المبنى الأول، وغاص بنا حتى وصلنا إلى قاعة كبيرة كبيرة للغاية، حتى أنها تبلغ أضعاف القاعة الأولى، وتبلغ مساحتها ما يساوي خمسون قدماً علمنا فيما بعد أنها هي غرفة الاستخبارات الكونية، ويتراص على الجانبين صفان من الشاشات الهولوجرامية، تعرض معلومات وخرائط للكواكب الأخرى، لكن لفت نظرنا وجود الخريطة اللوغراتمية وهي خريطة تضمّ كامل الكون في صورة واحدة.

اندهشنا وقلنا في نبرة واحدة:

أليس هذه خريطة بوداسي؟!

ابتسم أبينوس وأشار إلى اللوحة الهولوجرامية، فبدأت بعرض ترجمة تحت الخريطة باللغات العربية، والإنجليزية، وقال أبينوس:

نعم لقد صنع هذه الخريطة الفريدة والعجيبة العالم البشري بابلو كارلوس بوداسي، جمع بوداسي صوراً من بعض تلسكوبات تابعة

لوكالة ناسا مع خرائط لوغاريتمية للكون وضعها مجموعة من علماء الفلك في جامعة برينستون، الخرائط اللوغاريتمية قادرة على تغليف مساحات واسعة، داخل رسوم يُمكن التحكم بها، لأنها تُخفض المقياس كلما تحركنا نحو الخارج انطلاقاً من مركز الصورة، ما يعني أن الأجسام الموجودة في وسط الخريطة ظاهرة بحجم أكبر بكثير من تلك الواقعة عند الحواف، وبهذه الطريقة فإن المسافات الهائلة التي تفصلنا عن أقاصي الكون مُكثفة داخل مساحة صغيرة نسبيًّا في الخريطة، ولقد استطاع شباب علماء الكوكب في نسخها لنستفيد من كل العلوم من حولنا.

قلت بسعادة:

إنّ أهم ما يُميز الصورة هو وجود النظام الشمسي في المركز، وخلفه منطقة من الأجسام الجليدية المعروفة بسحابة أورت، والحلقة التالية تُميزها مجرة درب التبانة، إضافة إلى عدد من المجرات القريبة مثل مجرة المرأة المسلسلة (أندروميدا).

قال أبينوس ضاحكًا:

لو كان يعلم جدي إمحوتب بوجود خريطة مثل هذه، لما كان لديه أيُّ عذر كي يضيع حينما يقرر فيها الإبحار في الفضاء.

فقلت ضاحكًا:

حقًا. وما كنتم لتصلوا لتلك الحضارة!!

ضحك الجميع، وجاء نيني سافا وهمس في أذن أبينوس، فقال أبينوس:

هيا بنا لتعلما مهمتكما التي أتيتما لها.

الأسد الأسود

هنا على كوكب الأرض على الأطراف الشرقية لقارة أمريكا الشمالية، على أنقاض مدينة سان خوسيه الأمريكية، التي أصابها الدمار مثل أغلب المدن الأمريكية، إثر الحرب مع كوريا الشمالية وحلفائها، التي استخدمت أشد الأسلحة دماراً، مثل الصواريخ الباليستية عابرة القارات[١٧]، وحاملات الرؤوس النووية، والقنابل الكهرومغناطيسية[١٨] شديدة التأثير، خاصة بعد اقترانها بالقنابل النووية، وتمكن الكوريون آنذاك من التسللِ إلى داخلِ الولايات الأمريكية وتنفيذ هجومهم في عقر دارها، فلم تبقَ ولاية لم تطلها يد التدمير إلا جزر هاواي لبعدها عن مركز الانفجارات؛ في نفق على عمق ٥ أمتار من

---

١٧ - الصاروخ الباليستي العابر للقارات، كما يوحي اسمه، يمكنه بمجرد إطلاقه، السفر من قارة إلى أخرى. وبمجرد أن تبدأ تلك الصواريخ التحليق فهي تشبه إلى حد كبير كرة بيسبول تحلق في الهواء.

١٨ - القنبلة الكهرومغناطيسية (electromagnetic bomb) أو القنبلة الإلكترونية هي سلاح تهدف إلى تعطيل الأجهزة الإلكترونية من خلال النبضة المغناطيسية الكهربائية الكبرى (النبض الكهرومغناطيسي) التي يمكنها التداخل مع الأجهزة الكهربائية / والإلكترونية ونظم تشغيلهم لإلحاق أضرار فيهم وإصابتهم بالتلف.

سطح الأرض في مدينة سان خوسية، دخل رجل أصلع الرأس أزرق العينين ضخم البنيان، عندما دخل وقف جميع من بالقاعة وحيوه بالتحية العسكرية، واقترب القائد بجسده الرشيق ووجهه شديد الحزم، حياه بالتحية العسكرية، وقال له بصوت أجش:

مرحباً بك سيدي الزعيم روبن.

أجابه بنبرة متقطعة، والعبوس يحتل وجهه:

هل أنهيتم هذا العمل اللعين؟

أجابه بنفس النبرة:

على وشك الانتهاء منه يا سيدي.

صاح في وجهه قائلًا:

لَمَ لم تنهوه، أتنتظرون أن يعلم العالم كله بهذا السلاح ليدمرونا مرة أخرى كما دمروا امبراطوريتنا؟

وجذب القائد من ياقته، وهو يضغط على أسنانه، قائلًا:

ديـفيد. أيها الحمقى يجب أن تنهوا هذا العمل قبل أن يعلم به أحد، وإلا. صمت قليلًا ثم قال: وإلا سأقتلكم جميعكم بيدي أنا، ودفع القائد وانصرف.

عدل القائد ياقته ونظر إلى الجنود والعلماء بداخل القاعة وأنا معهم، وتنفس الصعداء، وقال لهم ليحمسهم:

يا جنود الإمبراطورية العظمى وحماتها، يجب علينا العمل بأقصى ما يمكن لإنهاء هذا السلاح، الذي سيعيدنا لمكانتنا الأولى وسيادة العالم مرة أخرى، ويجب علينا الثأر من كل من كان سبباً في ما حل بإمبراطوريتنا، ونظر إلى الصورة المعلقة على الجدار التي هي صورة لأسد أسود وتحته حرفين (B.L)، وصاح:

مفهوم.

أجابه كل من في القاعة بنبرة عسكرية واحدة:

مفهوم يا سيدي.

اقترب القائد منّي وقال:

نيكسون كم يتبقى لدينا من الوقت لإنهاء البطاريات؟

أجبته بثقة مصطنعة:

نحتاج أسبوعًا لننهيه يا سيد ديفيد.

نظر القائد إليَّ قائلًا:

لن ننتظر لأسبوع يجب أن ينتهي في أسرع وقت مفهوم.

انصرف القائد خارج القاعة، وتنفست الصعداء كأنه كان جاثومًا يرقد على صدري، وأخذت أتمتم بترانيم ديني المسيحي دون أن يلاحظني أحد، ثم دخلت أحد المراحيض لأختفي بعيدًا عن كاميرات المراقبة، ثم أخرجت جهازًا ليزريًا صغيرًا من سلسلتي التي على شكل الصليب بحجم الكف، لتنبثق منها لوحة هولوجرامية وأتممت مهمتي بها في ثوانٍ قليلة،

حتى اختفت اللوحة فوضعت الجهاز الصغير في المرحاض وضغطت على الصرف ليختفي أثره نهائيًا، وخرجت وأنا أتصنع ترتيب ملابسي مرة أخرى، فإذا بكلارا واقفة أمامي.

***

أشار أبينوس إلى أحد الجالسين أمام الشاشات الهولوجرامية، وقال له:

أعرض الشريحة أ-٩.

بدأ الشاب بمداعبة لوحة تحكم ليزرية، لتعرض صورة لكوكب الأرض، وأخذ يقرب الصورة حتى ظهرت القارات ثم رُكزت الصورة على قارة أمريكا الشمالية، حتى عرضت خريطة لمدينة سان خوسية الأمريكية، وبقايا المباني المدمرة من آثار الحرب، وقربت الصورة حتى ظهر شبه أسطوانة مدفونة وما كانت إلا مدخلًا لمخبأ سري، يقف أمامه رجلان ضخما البنيان يرتديان زيًا عسكريًّا وعلى ظهورهما أسطوانات، تخرج منها خراطيم متصلة بقناع على وجهيهما، وعلى كتفيهما شارة منسوج عليها صورة لأسد باللون الأسود وحرفان هما (B.L) ويمسكون بأسلحة «M١٦» وهو سلاح الجيش الأمريكي الرئيسي، وخلفهما باب حديدي دائري مثل مداخل الغواصات.

تحدث الشاب قائلًا:

سيدي لقد وصل المقر قائدهم اليوم، لقد طلب منهم العمل بشكل أسرع لإنهاء السلاح قبل أسبوع، هذا ما جاء في رسالة «نيكسون».

قطب أبينوس حاجبيه، وقال باهتمام شديد:

وما وضعه بينهم؟!

أجابه الشاب:

لم يخبرنا بشيء آخر، إلا أنه ينتظر التعليمات التالية منّا.

أجابه أبينوس بلهفة:

أخبره بأن ينتظر منا تعليمات أخرى، وأن يخبرنا بأي جديد.

أومأ الشاب لأبينوس موافقة.

نظر أبينوس إلينا، وقال لنا والقلق يبدو على وجهه:

العصابات الأمريكية تعمل على سلاح جديد شديد التدمير أطلقوا عليه الأسد الأسود (B-L"--- Black Lion")، لن يدمر كوكب الأرض فقط بل سيقضي عليه ويصل أثره للعوالم الموازية، ويجب إيقاف العمل على هذا السلاح بأسرع وقت.

سألته بدهشة:

ومن هم العصابات الأمريكية؟ وما مكونات هذا السلاح شديد الخطورة لهذه الدرجة؟!

نظر نحوي وقال:

العصابات الأمريكية هي مجموعة من قادة الجيش الذين نجوا من الحرب، وتعاونوا مع بقايا منظمة الماسونية العالمية التي طردتهم الدول بعد انكشاف حقيقتهم، أمّا السلاح فهو مركب من أخطر ثلاثة أسلحة (النووية، والبيولوجية، والكيميائية)، لكن.

قال إقبال بلهفة:

لكن ماذا؟

قال أبينوس:

لقد توصلوا إلى عمل برنامج إلكتروني قادر على حمل هذا المركب ونشره بسرعات عالية، قد تصل إلى ملايين الكيلو مترات في بضع ساعات، وهي تعمل على تحويل الكتلة إلى طاقة ($e=mc^2$)[١٩]، يمكنهم من إرسالها عبر الأجهزة الإلكترونية، ويمكنهم التحكم فيها كما يريدون، وتعمل تحت شفرات إلكترونية صعبة الاختراق، ما يعني أنه قد يتعدى كوكب الأرض للكواكب الأخرى، التي يوجد بها أجهزة استكشاف ورصد خاصة بالبشر، وقد تكون بالفعل النهاية.

قلت وقد انتابتني قشعريرة في كل مفاصل جسدي:

برنامج إلكتروني قادر على حمل هذا المركب ونشره بسرعات عالية! وما العمل إذن؟!

قال أبينوس:

العمل أن نعرف هذه البرامج وإيقافها قبل دمجها في هذا السلاح مع مركب الدمار(B-L).

قال إقبال وهو يقطب حاجبيه:

لكن كيف سنصل لهذه البرامج وكيف سنتخلص منها؟

---

١٩ - https://com.byteat/معادلة-أنشتاين-تثبت-صحتها-حول-الكتلة

نظر أبينوس إلى الشاشة الهولوجرامية التي تعرض صورة حية لموقع هذا السلاح الخطير، وقال وهو يتأمل الشاشة:

إن الإله لا يخلق داءً إلا وله دواء. وابتسم ابتسامة أمل وقال: هناك حل أكيد.

***

في المعمل

جلست في معملي، شاردًا بفكري وأداعب خصلات شعري المسترسلة على جبيني وأنا أفكر في حل لأعطل هذا السلاح قبل فوات الأوان، وقمت من مقعدي وأخذت أذرع المعمل ذهابًا وإيابًا، ولا أدري ماذا أفعل؟! وماذا سيحدث لهذا العالم إن نجح روبن في دمج هذه المادة سريعة الإنتشار مع هذا المركب الخبيث؟! ولكني سمعت صوت داخلي يقول لي: أنا هنا لأجد حلًا.

قطع تفكيري دخول العالم مانويل، وهو رجل أبيض الشعر أزرق العينين، العبوس على وجهه كأنه جزء منه، لا تراه مبتسمًا أبدًا، ونظراته كلها حقد وكراهية حتى أنه لا يحب نفسه، وسألني قائلًا:

أين كلارا؟

أجبته:

إنها في الغرفة التالية، لم تريدها.

أجاب ببروده المعتاد:

لا دخل لك في ذلك، اهتم بعملك.

أجبته وقد تملكني الغضب:

الزم حدك يا مانويل فأنا مدير المعمل هنا؟

نظر إليَّ نظرة سخرية، فاقتربت منه وكورت يدي لألكمه في هذا الوجه الدنيء، فخرجت كلارا مسرعةً، وقالت بذعر وهي تمسك بيدي:

نيكسون! ماذا تفعل؟!

وأبعدتني عنه، وهي تقول:

لا يجب أن تكون هنا يا مانويل، ما الذي أتى بك إلى هنا؟.

أجابها بكلمات باردة وهو يخرج قرص معدني من صندوق صغير:

هذا القرص عليه برنامج عمل السلاح يجب أن تفعليه، واحذري فإن تلف سنحتاج ١٥ يومًا لإنشاء غيره.

لا أخفيكم سرًا. لقد وقعت تلك الكلمات من هذا الملعون على سمعي وقع الموسيقى، ودار في عقلي كيف أعطل هذا الهمّ بسهولة، وابتسمت ابتسامة المنتصر لكني أخفيتها في قلبي.

فنظر إليّ وابتسم ابتسامة باهتة فخرجت ابتسامتي لتقتلها على وجهه فغادر المعمل بوجه عبوس كالفارين من الجحيم، وأنا أتكأ على الطاولة بيدي وأفكر في كيفية أخذ هذا القرص من كلارا؟ اقتربت كلارا منّي ووضعت القرص على المكتب وهي تهمس:

لا تشغل نفسك به، أنت تعلم أنه مريض نفسيًّا، والعمل في تلك المؤسسة يفعل أكثر من هذا.

فابتسمتُ وبدأت بصب كلمات الغزل في إشارات سريعة على أذنيها، وككل النساء تهيم بالكلمات الجميلة وخاصة ممن يدّعون أنهم لا يجيدون التعامل معهن، في هذا الوقت نسيت كلارا أمر القرص أو تناست، وكأنها تتساءل كيف لهذا الوثن الصامت أن يخرج مثل هذه العبارات الرومانسية، ترى على وجهها علامات الخجل لا التي تجعلك تكف عن هذا الكلام بل التي تزيده مثل الكيروسين مع النار، فكانت وقع أول مغازلة مني لها على الرغم من ذلك الجمال الذي لا يملكه سواها داخل هذا المقر كوقع التنويم المغناطيسي الذي لا أعرف كنهه، لكنها غرقت بإرادتها في محيط كلمات مصطنعة وكأنها وجدت القشة التي ستنقذها من غرق الجفاف العاطفي، فاقت من سكرتها على صوت ارتطام القرص بالأرض وأنا أعتذر لها كأنه وقع دون قصد وأنا أرتب الوريقات التي بجانبه، وانحنيت لألتقطه وقد قررت في نفسي إتلاف القرص مهما كان الثمن، وعندما وصلت يدي إلى القرص الذي كان جزء منه تحت حافة المكتب، وساعدني أنه مرتفع قليلًا من ناحية عن الأخرى، فضغطت عليه وأنا أكرر اعتذاري لها، وهي ما زالت في سكرتها فكما قال شاعر عربي قديمًا

«فشارب الخمر يصحو بعد سكرته *** وشارب الحب طول العمر سكران»

فنظرت لي مبتسمة وقالت الكلمة المتوقعة:

أحبك نيكسون.

فقلت بابتسامة تبدو كأنها رومانسية:

وأنا أيضًا. لكن خذي القرص ونفذي مهمتك، لا وقت لدينا لذلك.

فنظرت لها بدهشة ولا أدري سببًا لما فعلت، فقد جثت كلارا على ركبتيها وهي تبكي، فقد تذكرت ماضيها وأسرتها، يبدو أن فتيل الحب اشتعل في كافة أرجاء قلبها بعد تلك الكلمات، فالحب يذكّر بالدفء، والدفء يذكّر بأحضان الأم والأب، يا لعقلنا الباطن يربط الأشياء التي نظن أنه لا رابط بينها في حزام واحد.

قلت وأنا أمد يدي لها:

كلارا لم البكاء الآن؟

فأخبرتني بحنينها لوالدتها فواسيتها ثم نهضت كلارا واحتضنتني وزادت في البكاء كالتي وجدت من تبثه حزنها.

الآن أخشى أن تكتمل مسرحيتي وأقع في حبها تلك الجميلة فعلًا.

***

المهمة

جلسنا مع أبينوس حول طاولة في وسط القاعة، وضعت يدي على معدتي، وقد شعرت بالجوع يقرص أحشائي، فنحن لم نتناول شيئًا منذ مجيئنا إلى هذا الكوكب، وكان جمال الكوكب قد شغلنا عن التفكير في الطعام، ولاحظ أبينوس علينا علامات الإحساس بالجوع، وفي هذه اللحظة جاء نيني سافا، ووضع أمامنا طبقين من الفاكهة غريبة الشكل، ذات ألوان أرجوانية، وحمراء، وبيضاء، وأشار لنا أبينوس قائلًا:

تناولا طعامكما، فقد مرت الساعات على قدومكما إلى هنا ويبدو عليكما الجوع، وهذه بعض الخيرات التي يجود بها الإله علينا من ثمار الشجر.

ابتسمنا لتفهم أبينوس لشعورنا بالجوع، ونظرنا لبعضنا برضا وتناولنا تلك الثمار بسم الله، وما أن وصلت فمي حتى نظرت إلى إقبال بذهول، فوجدته ينظر لي نفس النظرة، فهذه الثمرة الأورجوانية ذات الطعم اللذيذ كثير الشبه بطعم التوت لكنها كبيرة الحجم، فهي تقرب من حجم الرمان، وتلك الأخرى الخضراء هي نفس صورة المانجو غير الناضج، فهي بيضاء من الداخل وخالية من البذور، لكنها لذيذة للغاية، ثم نظرنا إلى أبينوس بابتسامة متسائلة.

ابتسم أبينوس وهو يقول:

تلك الفاكهة هي أكثر ما نعتمد عليه في غذائنا، فهي غنية بالبروتينات والنشويات والألياف، فكل فاكهة غنية بعنصر هام من عناصر التغذية، وبها من الفوائد الغذائية المطلوبة لتبقينا لثلاثة أيام لا نشعر بالجوع.

ما زالت علامات الذهول على وجهينا، وأردف أبينوس وهو ينظر إلينا بابتسامة بشوش:

قد يدور بعقلكما أن تأخذا بعضًا منها لكوكبكما.

ضحكنا فأردف: لقد حاولنا من قبل أن نفعل ذلك، لكن كانت الفاكهة ما أن تخرج من الغلاف الجوي لكوكبنا حتى تتعفن بسرعة وتفقد كل عناصرها، ولم نجد تفسيرًا لذلك حتى الآن.

بلع إقبال ما كان بفمه وهو يقول:

لكن ألم تقل إنه يجب أن نتحرك بأسرع وقت؟

أجابه أبينوس:

بلى يجب التحرك بأسرع وقت وسنعطيكما كافة البيانات التي نمتلكها، والتي أفادنا بها عملاؤنا في مواقع كثيرة خاصة بهذا السلاح الخطير.

قلت بدهشة:

إذن لديكم عملاء في كل مكان خاص بالسلاح، فما حاجتكم لنا؟ ولمَ لم يقفوا على سر هذا البرنامج الخطير ويعملوا على تعطيله؟!

نظر إليَّ أبينوس وأشار إلى شاشة هولوجرامية خلفي مباشرةً، التفت إليها فعرضت مشاهد من الحرب النووية بين أمريكا وكوريا الشمالية، التي تعدت آثارها حدود الغلاف الجوي لكوكب الأرض، وأصابت الغازات السامة بعض الكواكب من المجموعة الشمسية، وظلت في الأرض لمدة عشر سنوات يحارب البشر تأثيرها، ويحاولون تجنبها، تعرض الشاشة المشاهد وأبينوس يعلق عليها ويشرح لنا ما نشاهده، ثم قال لنا:

إذا كان الشر قويًّا لا يمكن التصدي له منفردًا، فإن حاربته منفردًا ولم تكن أقوى منه ينتصر الشر، فإن الحق تلزمه القوة دائمًا لكي ينتصر، لذا يجب التكاتف بين عقول الجميع وأياديهم، للقضاء على الشر واستئصال جذوره، فانتقينا خيرة أبناء كوكبكم، وخيرة أبناء العوالم الأخرى، وقررنا الاتحاد ضد تلك العصابات المجرمة، لكن هناك أشياء لا يستطيع أحد القيام بها إلا البشر أنفسهم، وأنتما ممن وقع عليه الاختيار من قِبل مجلس حماة الكون -ولا تسألاني عن هذا المجلس فإنه غير مصرح لي بذكر أكثر من ذلك-، أما سر هذه البرامج فلا يعرفه إلا ثلاثة؛ العالم بوجا الذي لا يخرج من معمله، والزعيم روبن، والقائد ديفيد، يجب أن نسيطر على ثلاثتهم لأن كل شخص منهم لديه ضلع من أضلاع مثلث هذه البرامج، ولكي نعلم هذا السر ونسيطر على ثلاثتهم ونعلم ما يخبئونه فهذا أمر صعب للغاية.

قلت:

ألا يمكن استخدام التنويم المغناطيسي معهم؟

أجابني بابتسامة حزينة:

لا يمكن، فهؤلاء ليسوا بالأناس العاديين الذين يمكن السيطرة عليهم بخدعة بسيطة مثل تلك، لكن إذا.

صمت قليلًا، فقلت بلهفة:

إذا ماذا؟

أكمل بتنهيدة:

إذا استطعنا السيطرة عليهم وأخذ كل ما يجول برأسهم فسنستطيع حل لغز هذه البرامج وتدميرها.

فغر إقبال فاه وبرقت عيناه وتساءل:

كيف ذلك إن لم يكن بالتنويم المغناطيسي؟!

أجابه أبينوس:

بالقوة كما أخبرتك يا فتى، فهناك أحد علماء البشر يدعى «شانيول» يعمل على جهاز يستطيع تسجيل كل ما يوجد بداخل العقل البشري، وحفظه على شريحة إلكترونية، لكن هذا العالم لا يمكن أن يساعد البشرية على الإطلاق، فهو معروف بمعاونته للحكومة الكورية في حربها على أمريكا وتسبب في موت آلاف من المدنيين الأبرياء.

سأل معتصم باستغراب:

هل هو كوريّ؟

أجابه أبينوس:

لا، ليس كوريًّا، إنه من مدينة جينان عاصمة مقاطعة شاندونغ[٢٠] التابعة للصين، ولكنه زار كوريا الشمالية عندما كان شابًا وقام بمساعدة الحكومة الكورية في حربها، وطاردته الحكومة الصينية فيما بعد حيث أثبتت عليه تهمة التخابر لصالح كوريا، وعمل ثغرات في «الجدار الناري العظيم» لكنهم لم يتوصلوا لمكانه حتى الآن.

قال إقبال:

وهل تعلم موقعه؟!

أومأ برأسه قائلًا:

نعم لقد رصدنا تواجده في مقاطعة لياونينغ[٢١]، في معمل فنغتشنغ، في إحدى الغابات التي اتخذها درعًا واقيًا، وقام باختراع موجات تمويهية لكيلا ترصد مكانه الأقمار الصناعية، لكن يجب أخذ هذا الجهاز منه، لا وقت لإنتاج واحد الآن، فالوقت قصير والخطر قريب، واستخدامه لحماية البشرية من خطر هؤلاء المجانين.

صمت قليلًا ثم أردف:

يجب أن تستطيعا إقناع الاتحاد العربي الإسلامي بوجوب مواجهة هذا الخطر، وسنمدكم بالمساعدات اللازمة للتوصل لهذا السلاح والتخلص

٢٠- هي مقاطعة داخلية في الصين. تقع على واجهة خليج بوهاي والبحر الأصفر (بحر الصين)، تقابلها على الواجهة الأخرى شبه جزيرة «لياودونغ». عاصمتها مدينة « جينان ».

٢١- مقاطعة لياونينغ: تقع في جنوب منطقة شمال شرقي الصين، تواجه البحر الأصفر وبحر بوهاي، وتجاور جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية شرقا.

منه، فإذا أقنعتم المسؤلين -الاتحاد- فالاتفاقيات المبرمة مِن «مُرَدَ» (منظمة الردع الدولي) والتي تمثل التعاون الدولي للحماية من الأخطار الناتجة عن الحروب أو العصابات، مع اتحاد الشرق الآسيوي، والاتحاد الأوربي، والاتحاد العربي الإسلامي، واتحاد الجنوب الأفريقي، تفرض تعاون الكل لحل أي أزمة مثل هذه الأزمة.

صمت قليلًا. ثم أردف بكلمات جادةٍ حاسمة:

يجب أن تبدأ التدريبات من الآن.

فنظرنا إليه بذهول، فأردف:

لا تقلقا فما هي إلا ثلاثة أيام تدريب لكي تتأهلا لتلك المغامرة الصعبة.

فقلت له:

نحن جاهزان، لا تقلق سنتعلم سريعًا، وسنكون مناسبين لتلك المهمة تمامًا.

وبقينا ثلاثة أيام على الكوكب المرمري، مرت سريعًا فقد كانت أيامًا جميلة لكن في نفس الوقت صعبة، حيث التدريبات الشاقة، التي تفوق تدريبات القوات الخاصة، بل هي أشد، وكان يخفف تلك المشقة وقت التدريب على الأجهزة والمعدات الخاصة بهم، حيث كانت تدربنا عليها فتاة جميلة مرمرية وقع في حبها إقبال وأظن أنها بادلته بعضًا من ذاك الشعور أيضًا، إذا كان موجودًا لديهم، ولقد تعلمنا منها الكثير والكثير عن هذا الكوكب الخفي، فكانت سيمارا اخت أبينوس مطّلعة على شتى العلوم، حتى تلك العلوم التي ظننا أننا نخوض فيها وما نحن بالنسبة لها

إلا واقفان على شاطئ العلم فقط، وكانت أيضًا ليماثا صديقتها تساعدها في تلك المهمة في بعض الوقت، والتي أخبرني إقبال أنها معجبة بي! فأخبرته أظن أني لا أستطيع النظر لغير خطيبتي فلا تنس أنك أخوها وقد تخبرها وتكون نهايتي، فضحكنا ومرت الأيام الثلاثة كثلاث ساعات.

ثم عدنا مرة أخرى لنلتقي أبينوس الذي لم نرَه منذ بداية التدريبات، فرحب بنا ثانية وهنأنا على اجتياز الاختبارات التأهيلية، فنظرنا إليه باستفهام فقال إقبال:

أي اختبارات؟

قال بابتسامة فخر:

تلك التدريبات مزودة بمستشعرات دقيقة وبرامج تقييم ذاتية.

وقد أخبرنا أن إقبال نسبة اجتيازه للاختبارات ٩٥٪ وأنا ٩٤,٥٪ فنظرت لإقبال وقلت مازحًا:

ها قد تفوقت عليَّ مرة.

فضحكنا، وبعد برهة من الصمت دخل نيني سافا، وقال:

المركبة جاهزة يا سيدي.

وأغلق جهاز الترجمة وحدثه بكلمات غريبة مما أدخل الريبة في قلبي، وأعاد تشغيل جهاز الترجمة وقادنا للمركبة، وما زلت في حيرة؛ ماذا كان يخبره؟ ولم أغلق الترجمة؟ لكن أخذنا الحديث فلم أعقب في وقتها.

***

أمل من رحم الألم

تجلس كلارا على مكتبها وأمامها الشاشة الهولوجرامية، تضع القرص الذي يحمل البرنامج داخل مشغل الأقراص، تنتظر لكي يظهر البرنامج على الشاشة، لكن صدمها ظهور رسالة تحذيرية «القرص تالف»، ومع دخول مانويل قالت بذعر:

أيها الأحمق هذا القرص تالف، أحضر لي قرصًا سليمًا.

بدا الذعر على وجهه، وصاح قائلًا:

لقد أخبرتك أنه لا يوجد غير هذا القرص، ولا يمكن عمل غيره قبل خمسة عشر يومًا.

قاطعته بغضب:

جربه بنفسك ولا تحملني مسئوليته.

وأضافت بسخرية غاضبة:

هيا شغله يا عبقري.

صاح وبدا على وجهه علامات الرعب، وبدأ وجهه يتصبب عرقًا:

لقد أتلفتِه عمدًا، من الأفضل لك ألا تخبري ديفيد بما حدث.

فقالت وهي تنظر تجاه الباب:

لقد أتى بنفسه ليرى إهمالك وتقصيرك.

مع آخر كلمة نطقتها كاد قلبي يقفز من مكانه، لولا أني تمالكت أعصابي، فإن ديفيد شخص عديم الإحساس ولا يتفاهم إلا بالسلاح، كان من الأفضل لو أعطوه وظيفة جلاد ليقوم بعمليات الإعدام فقط.

دخل ديفيد واقترب من مانويل، وصاح بصوته الأجش قائلًا:

ماذا هناك؟

أجابته كلارا:

أعطاني هذا القرص لتحميل برامج عمل السلاح لنبدأ في المرحلة النهائية لتشغيله، وما أن وضعته داخل الحاسوب حتى أعطى تنبيه أن ذلك القرص تالف، ومن ثَم اتهمني بإتلافه، وهذا نيكسون كان حاضرًا فلتسأله.

وقعت تلك الكلمات على سمعي وقع الصواعق، فتمالكت نفسي وصدقت على كلامها بإيماءة من رأسي وجاهدت نفسي كي أبدو طبيعيًا غير متوتر أو مرتبك، فالفضل كل الفضل للإعداد والتأهيل المسبق الذي تم على الكوكب المرمري.

سيطر على مانويل الخوف، وقال بغضب:

يا سيدي لقد أخذته من د.بوجا وأعطيته لها.

أخذ ديفيد القرص من كلارا ونظر إليه واستشاط غضبًا، فضم قبضته ولكم مانويل لكمة أطاحت به ليسقط أرضًا، ثم أخرج سلاحه وقال بغضب وهو يضغط على أسنانه:

لقد أخبرتك أنه لا وقت للخطأ.

أخذ يتوسل مانويل قبل أن يضغط ديفيد على زناد سلاحه ليفجر رأس مانويل، ليتطاير الدم ويتناثر على جدران الغرفة، ويتجمع كل من بالموقع ليروا ما حدث.

فصاح ديفيد بغضب:

هذه نهاية من يخطأ، لقد أخبرتكم؛ لا وقت للخطأ. لا وقت للخطأ. أيها الحراس ألقوا هذه الجثة بعيدًا، فلتحتفل الجوارح -إن كانت باقية- بدم الخائن، هيا هيا كلٌّ إلى عمله.

وقفت مذهولًا مما حدث، فأي شخص قد يشك في الإثنين مانويل وكلارا، لكن ديفيد صدق كلارا بدون أي مبرر، ما سبب ذلك؟!.

قال ديفيد لكلارا، اذهبي إلى د. بوجا ليحاول صيانة هذا القرص، أو عمل نسخة جديدة بأسرع وقت قبل أن يعرف الزعيم روبن.

قالت كلارا وهي تقاوم حالة من الغثيان من رؤية جثة مانويل، ودموعها تجري مجرى الماء في الشلالات:

حسنًا. حسنًا يا سيد ديفيد.

ثم نظر إليَّ، وقال لها بكلمات حاسمة:

فلتجدوا بديلًا أفضل من هذا الحقير.

وأشار إلى جثة مانويل التي حملها الحراس وخرجوا بها ثم أكمل:

وليقُم نيكسون بأعماله حتى تدربوا غيره.

أجبته بصوت منكسر:

تأكد أني سأفعل اللازم.

اقترب ديفيد مني، وابتسم قائلًا:

أعدك بمكانة كبيرة في إمبراطوريتنا القادمة.

ابتسمت، وأجبته:

ما تراه مناسبًا يا سيد ديفيد.

انصرف ديفيد فانهارت كلارا فضممتها وأخذت أهدأ من روعها، لكنها انخرطت في بكاء شديد، فقلت لها:

لا تقلقي سينتهي كل ذلك، سينتهي العمل على هذا السلاح ونذهب من هنا، نذهب بعيدًا عن كل ذلك.

قالت لي وهي تبكي:

لا أريد شيئًا إلا الخروج من هنا، لا أريد شيئًا إلا مغادرة هذا المكان اللعين.

دارت في رأسي الذكريات، ذكريات طفولتي في الملاعب الخضراء، والهواء الطبيعي الصافي، ويدا والدي التي كانت تحملني عند تعثري و.

قاطعت تفكيري كلارا، وهي تقول:

لولا حاجتهم لي لقتلني معه.

اندهشت مما قالت، وسألتها:

لماذا؟!

أجابتني:

أنا ود.بوجا الزاويتان الذي يقوم عليهما هذا السلاح، فأنا فقط من يستطيع دمج وتفعيل المركبات الكيميائية، ود.بوجا هو الوحيد الذي يعرف سر عمل البرامج التي ستحمل العنصر المدمر إلى أوسع مكان.

أخذتها وذهبنا إلى غرفة الاستراحة، وأعطيتها كوب من الماء، وجلست وما زالت تبكي، وقالت بحزن:

لقد درست في جامعة باث في المملكة المتحدة، وكنت قد حصلت على جائزة أفضل الطلاب في الجامعة في مجال الكيمياء، ثم أفضل الباحثين في مجال دمج المركبات الكيميائية الحديثة، عندما حصلت على الدكتوراة، كانت قد تبعتنا سيارة منذ انطلاقنا عقب الحفل ثم تحرشت بسيارتنا حتى صدمتها، ولم أدري ما حدث بعد ذلك إلا أني وجدت نفسي هنا، وهددوني بقتل والديّ.

انخرطت كلارا في بكاء هيستيري وأنا أهدئ من روعها وتراقصت الأفكار في رأسي وشعرت بشروق الأمل من وسط سحب الألم.

***

العودة

نهضنا وقال لنا أبينوس ونحن نتجه إلى باب الخروج من القاعة:

عليكم تنفيذ ما طلبته منكم، وما النصر إلا من عند الله.

أجابه إقبال:

لا تقلق سنفعل ما يلزم لننقذ البشرية من خطر جنونها.

نظر إليه أبينوس وقال له:

أعلم أنكم لا تنقذون البشرية فقط بل تنقذون جميع العوالم.

وأخرج قلادتين من صندوق كان بيده، وكنّا قد تدربنا على طريقة تشغيلها، وكانت كل قلادة منهما شبه جلاتينية ذهبية اللون بها لؤلؤة زرقاء بحجم عقلة الإصبع، وأعطاهما لإقبال وقال:

هاتان القلادتان سيحجبان عنكما تتبع الأقمار الصناعية، وعدسات الكاميرات، وإذا مسحت على اللؤلؤة من أسفل ستعرض لك شاشة هولوجرامية صغيرة بها عدة أيقونات لتساعدكما في هذه المهمة، وأيضًا بها شعاع تنويم مغناطيسي شديد التأثير لكن لا يصل للقتل.

وأخذ من نيني سافا صندوق آخر وأخرج منه شريحة زرقاء وجهاز بحجم الهاتف المحمول، وقال لنا:

هذا الجهاز إذا وضعتم به هذه الشريحة، سيعرض لكما كل ما تحتاجون إليه من معلومات وخرائط، مما سيساعدكما في إقناع السيد رئيس الاتحاد بجدية الموقف وخطورته على الجميع باستخدام الفيلم المسجل عليه ورسالة خاصة مني «أبينوس قائد الكوكب المرمري».

نظرت لإقبال وفرحة العودة للوطن يخالطها حزن فراق المكان الجديد العجيب، وبابتسامة خفيفة شكرنا أبينوس على حسن الضيافة، ونظر لي إقبال نظرة شغوفة كأنه يخبرني أن وقت المغامرات حان، ويا لها من مغامرات رائعة، وهل هناك أروع ولا أجمل من مغامرة للدفاع عن البشرية جمعاء، لا ليست البشرية فقط بل كل العوالم.

ثم قال إقبال بعد برهة من الصمت:

حسنا شكرا لك يا سيد أبينوس، شكرا لك يا سيد نيني سافا، نلقاكم على خير.

احتضنّا بعضنا أحضان الوداع، ويا له من وداع لا تعرف هل ستلقى مودعك ثانيةً أم لا، هل سيلقاك أم لا؟ حقًّا لا أحب لحظات الوداع، فكم هي كئيبة ورتيبة الإيقاع، الثانية فيها تمر أيام، هذا ما جال برأسي وسال من عينيَّ دمعتان لطالما حاولت إخفاءهما ولم أستطع.

قلت وأنا أحاول التبسم:

لقد كانت أيامًا معدودة لكنّي أشعر بأني هنا منذ سنوات، فاعذروني لا أستطيع تحمل لحظات الفراق، إن شاء الله إن كُتِب لنا الحياة سنأتي إليكما مرة أخرى.

ورافقنا نيني سافا للمركبة، وكان هناك جمع من المدربين، وسيمارا وليماثا أتيا لوداعنا، فنظرت لإقبال وقلت له:

لحظات إضافية من الوداع.

فابتسم لي، وودعنا الجميع، وقد وقف مع سيمارا واكتفيت أنا بابتسامة لليماثا، واحتضنا المدربين ثم ركب معنا نيني سافا وانطلقت المركبة تشق الفضاء تاركة خلفها جمعًا يودعنا هناك، أظن أن الدموع قد سالت فسالت دمعة من عيني ولم أجهد نفسي بإخفائها حينما رأيت أختها في عين إقبال.

وبرق نجم أزرق اللون في السماء، وظل يقترب بصورة سريعة للغاية حتى يظن من رآه أنه نيزك وسينفجر حين يصطدم بالأرض، لكنه استقر على ارتفاع سنتيمترات من الأرض، وما كانت إلا المركبة التي أعادتنا، ولشدة سرعتها كنّا فاقدي الوعي تمامًا، فأيقظنا نيني سافا فسمعنا صهيل خيلنا، ففتحنا أعيننا فوجدنا أننا عدنا إلى الوطن مرة أخرى، وغادر نيني سافا بمركبته، فقطع تأملنا بمكان اختفاء المركبة، صوت الآذان وما علمنا أنه الفجر إلا لصيغته المختلفة بزيادة جملة «الصلاة خير من النوم».

***

صقور الهاريس العربية

نظرنا إلى بعضنا لنتحقق مما حدث وظننا أننا كنّا في حلم، واستطعنا أن ندرك أنه وقت الفجر من نسمات الهواء الباردة التي تقبل جباهنا النَّدِيَة بالعرق كقبلات الأم الحنون، ثم صيغة الآذان، نظر إقبال إلى القلادتين والجهاز بين يديه فتذكرنا أبينوس ونيني سافا والمركبة الفضائية، فنظر إليّ وما زالت أفكاري في دهشة مما حدث، وقال لي:

إذن لم يكن حلمًا يا صديقي. فها هي الأشياء التي أعطونا إياها.

قلت بذهولٍ وقلقٍ:

إذن فنحن أمام مسؤلية كبيرة. وأيما مسؤلية!

نظر إليّ إقبال نظرة ثقة، وقال لي:

ج يقول ربنا عز وجل في كتابه الكريم«**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**[٢٢]»، إن الله سبحانه وتعالى يعلم قدرتك وطاقتك، وعلى ذلك يكلفك بالمهمات المناسبة لتلك الطاقة وتلك القدرة، فهو سبحانه لا يُضِيق على العباد في شيء فكل إنسان مخلوق وله مهامه التي كُلف بها على قدر طاقته

٢٢ - سورة البقرة من الآية ٢٨٦

واستطاعته، فالطبيب وهبه الله القدرة على تشخيص المرض ووصف الدواء، والمهندس له عمله الذي يجيده من تخطيط وتنفيذ، والمعلم له المهمة الأصعب فهو الذي ينمي ويدرب تلك القدرات التي وهِبت لنا كما علمه الله، وقد يهب الله أحد البشر قدرتين فقد تجد الطبيب المعلم، والمهندس المعلم، فقدر الله أن تكون هذه مسؤليتنا فهذا يعني أن الله يعلم طاقاتنا لذلك.

«الله أكبر الله أكبر.» قطعت إقامة الصلاة حديث إقبال لتنبهنا إلى أداء الصلاة.

ابتسمت ونهضت وأنا أقول:

هيا لندرك الصلاة قبل الشروق.

أخذنا أغراضنا وذهبنا إلى المكان الذي خصصه المزارعون للصلاة، توضأنا من مياه الخزانات التي بناها المزارعون والتي تصلح للوضوء والشرب فعادةً ما يقضون نهارهم هناك فتكون كسبيل للشرب والوضوء، وبعد أن أتممنا صلاتنا، ظللنا نتحادث حتى بدأت بشائر النور تقبل الأرض، فنزلنا إلى القرية باتجاه بيت إقبال، وقد بدأ دبيب الناس على الأرض في تلك الحالة بين اليقظة والنوم، كل يسعى إلى عمله، وما أن وصلنا بيت إقبال وجدنا المشهد المعتاد، الأطفال يجلسون حول والده وهو يقص عليهم القصص من تاريخ العرب والعالم الإسلامي، وما كان في الأمم السابقة، فكان دائماً يردد من عرف التاريخ أضاف لعمره قروناً.

قال إقبال وهو يميل على يد والده يقبلها:

السلام عليكم يا أبي.

وقلت:

السلام عليكم يا شيخ سيد.

رد علينا الشيخ سيد:

وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته، أين كنتما الليلة الماضية؟

رد إقبال:

هذا موضوع يطول الحديث فيه الآن، بعد أن تنهي قصتك للصغار نتحدث بكل شيء، لكن الآن فلنستمتع نحن أيضًا.

جلست وأحضر لنا إقبال كوبين من الحليب الطازج، وظللنا نستمع إلى الشيخ سيد، فقال للأطفال:

أين توقفنا أيها الأشبال؟

قال الطفل ماجد:

لقد توقفنا عند ثورة الربيع العربي الأولى، وما حدث وقتها من انقلابات وحروب في بعض الدول العربية، والثورة السورية.

قال الشيخ سيد:

حسنا يا أبنائي، أما في بلاد الشام وفي سوريا خاصة، عندما اشتعل فتيل الثورة في سوريا، خشي العالم الغربي من سيطرة الشباب العربي على مقاليد الحكم، فدعموا النظام الحاكم آن ذاك ورئيسه «بشار الأسد»، وأمدوه بالسلاح والمليشيات المسلحة، وصنفوا الثوار كمليشيات وجماعات متطرفة، وزرعوا في قلب الشام جماعة مسلحة لا تعرف دينًا ولا ملة،

وأعطوها اسم «الدولة الإسلامية في الشام والعراق» أو ما عرفت وقتها بتنظيم داعش، حيث أراقت هذه الجماعة دماء الكثير من الشباب العربي، وكانت سبباً لتدخل الغرب في بلاد الشرق الأوسط، فخربوا العراق والشام وليبيا باسم الدين، وقاموا بما لا يرضي الله؛ حيث أمر سبحانه وتعالى رسوله الكريم بالحكمة والموعظة الحسنة في دعوته للمشركين كما جاء في سورة النحل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)، صدق الله العظيم.

قالت جهاد ذات التسع سنوات:

يا جدي، إذا كان هؤلاء الشباب العرب مؤمنون بقضيتهم، وكان شباب الجيش النظامي مؤمنون بقضيتهم، وكان يسقط قتلى من كلا الطرفين، أيهم من كان يستحق لقب الشهيد؟

ابتسم الشيخ سيد وقال:

يا بنيتي، الشهادة لا يعلمها إلا الله، فهي بين العبد وربه، الأمر المحزن يا أبنائي أن الغرب استطاع أن يسيطر على فكر الشباب في وقتها فهو الذي يملك الأداة الإعلامية التي توصل الأخبار لكلا الفريقين، وكان يبث سمومه من خلال قنوات تدعي الوطنية، فوصل الأمر بالجيش السوري أن كفر كل معارضيه وخونهم، حيث أن أكبر القادة في الجيش انفصلوا عنه ورفضوا توجيه أسلحتهم إلى الشعب، بل ومثّل الجيش -الذي غلب عليه المرتزقة- بالجثث، وقتل الأطفال والشيوخ والنساء، فكانت تلقى القنابل والمتفجرات فتحيل المدينة مقبرة جماعية، وكانت

أشهرها مذبحة مخيّم الباغوز في سوريا التي راح ضحيتها الآلاف من النساء والأطفال، تحتضن فيها الأم الثكلى الطفل اليتيم، الكل مجروح والكل حزين، فقط الغرب يشرب نخب انتصاره ويحتفل بالنصر في الحرب التي لم يخسر فيها حتى ثمن طلقة واحدة.

سأل ظافر جده، قائلًا:

وماذا عن باقي بلادنا العربية، مثل اليمن والسودان وليبيا؟

نظر الشيخ سيد إلى الأطفال الملتفين حوله، وقال بأسى:

والله يا أبنائي ما كان حال باقي البلاد العربية حينها يسر الناظر ولا يرضي السامع، فكما نجح الغرب في إشعال نيران الفتنة في أرض الشام، وأرض الكنانة، استطاعوا إشعالها أيضا في اليمن السعيد، وحالوا بين اليمن والسعادة بأيدٍ عربية ودوافع غربية، فقد تسلط حينها ملوك السعودية، والإمارات عليه وعلى شعبه، وصرفوا من الأموال مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ، بدوافع الطمع والجشع والسير خلف كلام الغرب واشعال نيران الحرب السنية الشيعية بين الجيران، بل إن ملوك السعودية حينها أهدروا من الأموال ما كان يزيد عن متطلبات نهضة الأمة العربية جميعًا، بل كانت هذه الأموال كفيلة بجعل الأمة في المراتب الأولى في الاقتصاد عالميًا، لكنها أهدرت على رفاهية بعض الأمراء، ودفعت كجزية للغرب ليحمي لهم كرسي الحكم، والتستر على قمعهم للحريات وتنكيلهم بأصحاب الآراء المخالفة لهم، أو منتقديهم.

وكذلك ليبيا، فقد جندوا فيها قائدًا عسكريًّا تسلط على الشعب أيضًا، ووضعوا فيها تنظيمات مسلحة، لكي يضربوا المدنيين من الشعب الأعزل، ويقولوا إنهم من الجماعات المسلحة.

قال منتصر بلهفة:

يا جدي إذا كان الحال -كما تروي لنا- في غاية الفرقة والضعف والانهزام، فكيف استطاع الشباب الحر الانتصار في ظل هذه العقبات والمشكلات الكبيرة؟

ابتسم الجد وقال لهم:

من منكم يعرف الصقر؟

قالت عائشة:

أنا أعرفه يا جدي، لقد قال لي والدي إنه طير جارح حجم جسمه متوسط وله ذيل طويل وأجنحته مدبّبة طويلة.

سأل الجد:

وهل سمعتم عن صقور هاريس؟

ردّت عائشة:

نعم ياجدي، هي الفصيلة الوحيدة التي تمارس الصيد في مجموعات.

ابتسم الجد وقال لها:

أحسنت يا عائشة، فقد تغلب الشباب العربي على كل الصعوبات التي واجهتهم بأن سلكوا مسلك صقور الهاريس، فقد علموا أنهم لن يستطيعوا الانتصار إلا بالوحدة والاتحاد، فقاموا بعمل تشكيل سري أطلقوا عليه «فرسان الشرق»، وقاموا باجتماعات سرية، واستخدموا وسائل التواصل القديمة والشفرات الخاصة، كي لا يتم كشفهم، وبذلك تغلب الفرسان العرب على الصيادين بكثرتهم واتحادهم بطريقة صقور الهاريس، فقامت ثورات الربيع العربي الثانية، وكان للفرسان العرب دور كبير في نجاحها، وتمكنوا من توصيل الوطن للطريق الصحيح، بدون الظهور على الساحة الإعلامية، وبعد رسائل الاتحاد التي وجهت من شباب الخليج، والترحيب بها من قبل شباب النصف الشمالي من القارة الإفريقية، ظهرت الرسالة الوحيدة لهم وبثت على جميع القنوات العالمية والتي كان نصها

«بسم الله، بسم الوطن الذي لا يحيا إلا بالدين والأخلاق، بسم الشعب الذي لا يرضى الخنوع والخضوع مهما طال الظلم والاستبداد، أيها الشباب العربي الحر المناضل، الثورة في قلوبكم، والوطن لكم، والحكم حقكم، مهما كان دور الفرسان ما كانت لتنجح الثورة لولاكم، علموا أبناءكم وبناتكم، أنهم أصحاب الأرض فليصونوها كما أمر رب العباد بالدين والأخلاق، فليصونوها بالعلم والاجتهاد، فليصونوها بالعمل، فليصونوها بالأمل، فليصونوها من كل باغٍ ومحتل، هنيئًا لكم بلادكم، فلتعيدوا أمجادكم، فلترتبوا صفوفكم، وأخيرًا لمصلحة الوطن الغالي يجب أن نُبقي مجموعة «فرسان الشرق» سرية كي لا تستغل سياسيًا أو إعلاميًا، ولتعلموا أنَّا بينكم ومنكم، كونوا جميعكم صقور هاريس، ليصعب على الصياد النيل منكم، وتزيد إنجازاتكم.

فرسان الشرق صقور الهاريس العربية»

هكذا يا أبنائي نجح الشباب العربي أو الصقور العربية «فرسان الشرق»في إعادة ترتيب الصفوف، وتحرير أوطانهم من يد الخونة المتآمرين، وانتهت مهمتهم بتسليم سلطة الحكم للشباب أصحاب الهمم ليرتقوا بالوطن إلى منازل السريا.

هيا اذهبوا الآن وغدًا بإذن الله أقص عليكم قصة أخرى.

ذهب الأطفال الخمسة كل إلى منزله، فمنهم من ذهب ليساعد والده في الحقل وجمع الخضراوات، ومنهم من ذهبت لتساعد والدتها في إعداد الطعام، وبقينا مع الشيخ سيد نقص عليه ما حدث معنا.

***

زهرة أمل

في موقع السلاح السري جلسنا أنا وكلارا، كل واحد منّا في مكتبه في نفس الغرفة، ذات الإضاءة الخافتة، وتلك الجدران التي تتصارع مع الرطوبة، كلارا تجلس على مكتبها وتزيد الإضاءة بمصباح محمول يعمل بالبطارية، وتراجع خريطة صممتها لطرق دمج المركبات الكيميائية، وأنا جالس على مكتبي أمام الحاسوب، أوحي لمن يراني أني أعمل على شيء ما، لكنّي ما زلت غارقًا في التفكير في كيفية السيطرة على ذلك السرطان، الذي إن خرج من هذا المكان فسيقضي على الحياة في كوكبنا، وكنت أسترق النظر إلى كلارا، التي ما زالت منكبة على خريطتها لتنهي عملها، لكي يتركوها ترحل لترى والديها التي لم تكد ترى فرحتهما بنجاحها حتى حدث ما حدث، لتجد نفسها وسط أسوأ كائنات على وجه الكوكب، فها هي التي كانت تحلم بتركيب ودمج المواد الكيميائية لتساعد البشرية في التخلص من الأمراض المستعصية، والأمراض الجينية التي خلفتها الحروب الكيميائية في نهاية العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين، ها هي تعمل لتشغل أخطر سلاح دمار شامل، سيقضي على أحلام الكثير من البشر، بل سيقضي على حياتهم، وقد يكون الاحتمال الثاني أرحم لهم مما سيرون لو أصابهم الاحتمال الأول، فها هي تبيع البشرية

بأكملها فقط لتعود وترى وجه والديها مرة أخرى، هذا جزء مما قصته عليّ الليلة الماضية، حقًا إن اليأس أشد خطورة من القتل! ها هي مهمّتي ازدادت خطراً مع سهولتها، فها هي ترتدي ثوب السهل الممتنع، لا. لن أتراجع. فإذا استطعت إقناع كلارا بتعطيل هذا السلاح حتى أجد حلًا جذريًا لهذا الكابوس، لكن كيف سأحدثها بذلك؟ وماذا سيحدث إن أفشت سري؟ سأخسر روحي بالتأكيد، وستخسر البشرية أملًا كبيرًا في فشل هذا السلاح، لكن يجب أن يكون هناك حل.

أخرجني من تلك الأفكار المتصارعة صوت كلارا حينما صاحت بابتهاج:

أجل، ها أنا قد اقتربت، سأركب هذا المركب الملعون مع تلك المادة الملعونة وسأخرج من هذا المكان الأكبر لعنة.

نظرت إليها وحاولت إخفاء الارتباك الذي بدا على وجهي، وأظهرت ابتسامة مصطنعة، وقلت لها:

ماذا لو كانوا قتلوا والديك؟ هل ستستمرين بالتضحية بالبشرية على أمل كاذب أيضًا؟

انتفضت كلارا فزعًا ونظرت إليّ، وقد استحالت البهجة الحالمة على وجهها إلى دموع وقلق، وسألتني وكأنها تترجاني أن أزيد من أملها في لقاء والديها، فقالت وكأنها تحاول أن تهمل أثر كلماتي عليها:

لقد وعدوني بذلك، أتظن أنهم لن يوفوا بعهدهم؟ أنا لا أظن ذلك.

قلت لها بصوت منخفض:

كلّا يا كلارا، يجب أن تفهمي أنهم أندال لا يفرق معهم عهود ولن يوفوا بوعود، ألم ترِ ما فعلوا بمانويل؟

بدا الحزن عليها، وجلست على مكتبها كأن قدميها لم يستطيعا حملها، اقتربت منها وناولتها كوب ماء، وقلت:

كلارا. الدكتورة كلارا. التي وهبت حياتها للعلم وخدمة البشرية، الآن تضحي بكل البشرية مقابل أن تعود لوالديها وهي لا تعلم إن كانا لا يزالان على قيد الحياة أم غدر بهم هؤلاء الأوغاد؟

قالت وهي تنظر إليَّ بدهشة:

ماذا تريد أن تقول ولأي شيء تريد أن تصل بكلماتك تلك؟! ألا تعمل معهم وتساعدهم لبلوغ نفس الشيء؟!

ضربتني صاعقة كلماتها لكنّي بسرعة ودهاء خبّأت ارتباكي خلف ابتسامة، وقلت لها:

كلماتك الليلة الماضية.

قالت بدهشة:

كلماتي؟!

قلت:

نعم كلماتك حركت مشاعري نحو البشرية، وفكرت طوال الليل؛ ما ذنب طفل لم يبلغ من العمر عدد الأصابع؟ ما ذنب امرأة تربي

أطفالها ليبنوا مستقبل مشرق؟ ما ذنب هؤلاء وغيرهم من البشرية أن يصيبهم هذا السلاح المشؤوم، فيقضي على أحلامهم الوردية، ويقضي على اليابس والأخضر؟ وما أدراك ألا يصيب هذا السلاح والديك؟!. هل ستشعرين حينها بالبهجة وأنت معهم تختنقون وتعانون من آثار هذا السلاح؟ أم ستشعرين بارتياح حين تريهما يلفظان آخر أنفاسهما بين ذراعيك؟! راجعي قرارك مرة أخرى. صمتُ قليلًا ثم قلت:

حددي اختيارك كما فعلت أنا.

قالت كلارا متسائلة:

وماذا قررت أنت؟!

أجبتها بصوت خفيض:

لقد قررت تعطيل برامج السلاح، ومحاولة التواصل مع أحد خارج هذا المعتقل الذي وقعنا فيه، حتى يعلم أحد بنا ويحاول تخليصنا من هنا.

سألت كلارا:

وماذا إن لم يشعر أحد ولم يسعوا لتخليصنا؟!

أجبتها بثقة:

لا تقلقي. لكن الآن يجب أن تغيري خريطتك قدر المستطاع لكن لا تجعليهم يكتشفون أيَّ شيء.

أجابتني بابتسامة قلقة:

لا تقلق سأحدث فيها تغييرًا بسيطًا يجعل البرنامج كله يتعطل فقط لأيام محدودة، لكن كيف سنخرج من هنا؟ وهل سننجح؟

أجبتها بنبرة ثقة لأطمئنها:

لا تقلقي سنجد طريقة إلى ذلك، لكن يجب أن تأخذي حذرك قدر المستطاع لن تحدثي حتى نفسك بشيء مما تحدثنا فيه.

أجابت كلارا:

لا تقلق سنخرج من هنا بالتأكيد.

صمتت قليلًا ثم قالت بارتباك:

عد إلى مكتبك فأحدهم قادم.

دخل ديفيد الغرفة، وهو قاطب حاجبيه، ويبدو عليه علامات الغضب الشديد.

بادرته بالسؤال:

ما بك يا جنرال؟ لِمَ كل هذا الغضب؟

رد بغلظة شديدة:

ليس لدينا وقت والبرنامج لم يتم توصيفه حتى الآن.

ثم استدار ونظر لكلارا، وقال لها:

هل أنهيت خرائط الدمج أم لا؟!

ارتبكت قليلًا لكنها حافظت على رباطة جأشها، وقالت:

نعم لقد انتهيت منها، لكن.

صرخ ديفيد:

لكن ماذا؟

أجابته سريعًا:

لكن لا نعلم سرعة الاندماج، وقابلية المواد له.

قال ديفيد بغضب:

لا وقت لدينا للتجارب قوموا بتركيبه فورا لم يتبقَ إلا خمسة عشر يومًا على موعد الإطلاق، هيا كلٌّ إلى عمله.

ثم خرج وهو يبتسم ابتسامة خبيثة ويقول:

لقد حدثت عنك الزعيم روبن، وسأوفي بوعدي في حينه.

تنفست كلارا الصعداء، ثم نظرت إليَّ وكأن عينيها الزرقاوين تشعان أملًا متجاهلة كلماته، وقالت:

هناك حل سيخلص البشرية من ذلك السلاح اللعين.

وقعت كلماتها على قلبي وقع الموسيقى، فقلت بلهفة:

حقًّا؟!

نظرت كلارا إليَّ بتأمل ثم نهضت وقالت:

تعالَ معي.

خرجنا من الغرفة وذهبنا إلى المعمل، ارتدت قناعًا وأعطتني واحدًا، ثم دخلنا مخزن المواد الكيميائية، وتناولت أحد المركبات الموضوعة داخل الأسطوانات الزجاجية، وكل مركب مكتوب عليه اسمه وخصائصه، ثم تناولت أسطوانات المركبات الثلاثة ونظرت إليَّ وقالت:

سنفكك المركبات السامة إلى مركبات عديمة الضرر أو أقل خطورة.

فغرت فاهي من الدهشة وشعرت أنّي قد استطعت اللعب على الوتر الحساس، وحركت مشاعرها وذكرتها بواجبها تجاه البشرية، لكنها صدمتني بسؤالها وعيناها دامعة:

هل من الممكن أن يكونوا قد قتلوا والديّ؟

اقتربت منها لاطمأنها، وأجعلها تشعر بالأمان، وقلت لها بصوت حنون:

فقط إن فشل هذا السلاح اللعين، حينها سيفقد أعضاء المنظمة القوة التي يستندون عليها، حينها سنستطيع الخروج من هنا، وندعو الرب أن يكون والداك بخير، لكن.

انتفضت كلارا بقلق وقالت:

ولكن ماذا؟!

أردفت بحزن:

إن نجح هذا السلاح لا أضمن لك بقاء أحد على وجه الحياة، فهؤلاء البشر يحقدون على الاتحادت الأربعة -الأوربي، والشرق آسيوي، والعربي الإسلامي، والجنوب الأفريقي-.

أخذت كلارا تدون التركيبات المكونة لكل مركب في ورقة، ودموع عينيها تكاد تمحي ما تكتبه، وتمتمت:

سننجح وسيفشل هذا السلاح اللعين، سينجح لأجل أبي وأمي، سينجح لأجل كل البشر. وانخرطت في بكاء عميق؛ ولا أدري ما سبب رغبتي الملحّة بالصلاة الآن، فأنا لم أناجِ الرب منذ زمن لا أذكره، أتكون تلك رسالة؟! أينجيني كما نجّى المسيح من الصلب؟! ولمَ لا؟!

***

في سيناء

بعد أن قَصصّنا ما حدث للشيخ سيد، أشار علينا بالذهاب إلى مكتب رئاسة الاتحاد العربي الإسلامي بسيناء، وأن نعرض الأمر على السيد رئيس الاتحاد: محمد حازم، وأن نرى ماذا سيقرر.

ذهبنا أنا وإقبال بعد أن ودعنا أهلنا متجهين إلى سيناء، من أجمل ما في الحياة أن يكون لديك صديق مثل إقبال، تجده بجانبك في حلك وترحالك، تجده بحاجة لمساندتك وأنت بحاجة لمساندته، جميل أن تجد نصفك الآخر على هيئة شخص بجوارك، يقاسمك أفراحك وأحزانك، ويعلم مخابئ أسرارك، فلا تحتاج أن تقص عليه ما بك، فهو قد علمه بقلبه، ها نحن نقطع طريق الوحدة، هذا الطريق الدولي الذي يربط مدينة البحر الأحمر بسيناء مرورا بـ«رأس غارب» و«الطور» ويمتد إلى «تبوك» مرورا بـ«دهب» غرب خليج العقبة و«مقنا» بشرقه حتى الوصول إلى «مكة المكرمة» هذا الطريق الذي يبدأ من «مورتانيا» ويتقاطع مع طريق «الوِفاق» الذي يبدأ من الاتحاد الجنوب أفريقي، تلك الشبكة التي ربطت القارتين الأفريقية والآسيوية يسرت على الحجاج الطريق إلى المقدسات الموجودة في القدس ومكة والمدينة، والتي تتقاطع مع طريق

«محمد الفاتح» الذي يبدأ من منتصف أوروبا مرورًا بتركيا والشام حيث ربطت القارات الثلاث ببعضهم، بعد ثلاثين كيلومتر تقريبًا انزلق إقبال بالسيارة شمالًا ليأخذ النفق ليسلك طريق الطور-سانت كاترين، فنظر إليَّ بدهشة، وقال لي باللهجة الصعيدية:

هل أنت خائف؟! تشجع يا معتصم، ألا تظن أنها ستكون مغامرة جميلة أيضًا هذه المرة؟!

نظرت إلى يسار الطريق أتابع ببصري الأشجار الخضراء ذات الورود والأزهار المتفتحة، المنظر خلاب لكني أشعر بحزن وقلق شديد لا أدري سببه، فهذه ليست المرة الأولى التي نغامر فيها، وندخل لشيء مجهول، وقد كنت أنا من اقترح المغامرات والرحلات الغريبة، لكن هذه المرة تختلف، فنجاح هذه المغامرة يتوقف عليه نجاة البشرية من بلاءٍ كبير، نظرت لأعلى وناجى قلبي «ربنا لا تجعلنا نرى سوء ما يمكر هؤلاء المجانين».

قال إقبال بدهشة:

يبدو أن همك أكبر من المعتاد يا صديقي، قل لي ما سبب قلقك الذي يلازمك طوال الطريق؟

نظرت إليه وقلت:

هذه المرة تختلف يا إقبال، فهذه المغامرة ليست كدخول كهف الزواحف، ولا التصوير وسط قطيع الضباع التي تتقاتل على جثة غزال ضل طريقه.

قاطعني إقبال بصوت هادئ:

يا صديقي نحن اخترنا رحلاتنا ومغامراتنا السابقة، لكن الآن هي واجب علينا لحماية الدين والوطن بل والبشرية كلها، لا تقلق فنحن معًا يا صديقي، وتذكر تلك الآية «إن الله معنا».

قال جملته الأخيرة بابتسامة أزالت كل مخاوفي، وكنا قد وصلنا تقاطع طريق الطور-سانت كاترين مع طريق سانت كاترين-نويبع، فانحرف شمالًا ووقف أمام استراحة مخصصة للمسافرين، وطلب لنا أكلتنا المفضلة -السمك- مع عصير المانجو الطازج، وابتسم وهو يقول:

ماذا سيكون رد السيد رئيس الاتحاد، في رأيك؟

تعلق بصري بنقطة في مكان مجهول، وجالت في رأسي الأفكار، لكنها كانت أفكار تدعو للابتسام، فرددت عليه بابتسامة خفيفة:

سيكون كما تريد أن يكون، سيعيد تدريبنا بنفس التدريبات القتالية، التي تلقيناها في معهد إعداد الشباب المقاتل، ويكلفنا بهذه المهمة معًا ونخوض مغامرة جديدة لكنها من نوع خاص.

ابتسم إقبال وقال:

ليس بهذه السهولة، لكن هذا ما أتمناه حتى لا أندم على الأشهر الثلاثة التي قضيناهم في التدريب تحسبًا لأي أمر طارئ.

نظرت إلى الشاب الذي يقدم لنا السمك وهو يضع الأطباق أمامنا، السمكة تعتلي العرش كأنها ملكة والليمون والفلفل الأخضر حولها كأنه

الجواري يطوفون بها، والأرز مع شرائح البصل أو كما يطلق عليه -أرز الصيادية- وعصير المانجو والقطع العالقة به، فغرت فاهي وقلت:

ها هو الأمر الطارئ!

ضحك إقبال وضحك الشاب وهو يقول:

لا تجعل جمال الرائحة والمنظر ينسيك البسملة، أو يجعلك تفقد أحد أصابعك.

ابتسمت له وشكرته، وتناولنا طعامنا، وعدنا إلى سيارته وأكملنا رحلتنا حتى توقفنا أمام قصر رئاسة الاتحاد العربي الإسلامي وكنا وقت الغروب، دخلنا إلى مكتب سكرتير الرئيس بعد أن تمت الإجراءات التفتيشية، وطلبنا من السيد: يعقوب مقابلة السيد رئيس الاتحاد، والذي قال:

معذرةً السيد رئيس الاتحاد غير موجود الآن إنه في زيارة تفقدية لدولة الصومال، وهو في طريق عودته الآن وسيصل بإذن الله اليوم الساعة الثامنة مساءً، يمكنكما الانتظار في الاستراحة المخصصة للمواطنين حتى يأتي.

أوصلنا إلى الاستراحة وأشار إلى وجود دورات مياه يمكننا استخدامها لو أردنا، فشكرناه وعاد إلى مكتبه، فقمنا لنتوضأ ونصلي المغرب، وبعد ما يقرب من الساعتين، طرق السيد: يعقوب الباب، فأذنا له ولما دخل، قال:

لقد وصل السيد: محمد حازم، وأخبرته بوجودكما وأذن لكما بالدخول.

خرج السيد يعقوب، وسرت في جسدي قشعريرة لا أدري سببها، وتنامى القلق بداخلي ولا أدري أيضًا سببه، لكننا تهيأنا للدخول لمقابلة رئيس الاتحاد لنرى ماذا سيكون رأيه.

***

المعمل والأمل

كلارا تجلس على كرسي مكتب متحرك في المعمل، وأمامها أسطوانتان، إحداهما بها مركب السارين، والأخرى بها مجموعة هيدروكسيدية، وبدأت تؤمن خلط المركبين، وأنا أنظر إليها بدهشة، ولا أدري ما الذي تفعله، ولم أشأ أن أسألها عن أي شيء حتى تنتهي مما تفعله، وفي الأخير هي ستخبرني بما تفعل، لأنها كمثل جميع النساء لا يتسع قلبها لحفظ السر، وبعد نصف ساعة من الصمت المتبادل، هي مندمجة في تجربتها وأنا أراقب الممر وأراقب ما تفعل.

قطعت كلارا الصمت بصوت هامس، لكنه يرتدي سترة من النصر العطر، قائلة:

بداية الطريق خطوة، بداية الصرح لبنة، وبداية النصر تجربة.

نظرت إليها بدهشة، وقلت:

أتقصدين أننا سننجح؟!

أومأت برأسها بالموافقة، وقالت:

أقصد أننا سنخرج من هذا المستنقع العفن.

اقتربت منها وعلامات الاستفهام على وجهي، وقلت:

ماذا كانت التجربة؟

قالت وهي تمسح دمعة وجدت مجراها على وجهها:

انظر يا نيكسون، هذا هو مركب السارين السام ($C_4H_{10}FO_2P$)، وهذه هي المجموعة الهيدروكسيدية، عندما يجتمعان مع بعضهما يولد مشتق غير سام (حمض الفوسفونيك) والذي يستخدم في معالجة المياه.

نظرت إليها وكأني لا أستوعب ما تقول، لكني وجدتني أسألها:

لكن كيف سنفعل ذلك؟

نظرت إليَّ نظرةً مليئةً بالثقة، وقالت:

إن دمجنا نحن السارين مع الهيدروكسيد قد يقومون بتجربته، وفي تلك الحالة سيأخذون حذرهم ولن تنجح خطتنا.

سألتها بلهفة وقلق:

لكن ماذا سنفعل؟ وكيف سننجح في هذا الأمر؟

نظرت بعينيها الزرقاوين إلى أسطوانة ثالثة بجانب المكتب، فأسرعت إليها وقرأت المكتوب عليها بصوت هامس مستفسر:

«تراي بيوتايل أمين»؟

أجابتني بسرعة:

نعم.

قلت:

لماذا؟!

قالت وهي تراجع بعض الصيغ التي دونتها في مفكرة صغيرة معها:

لأنهم يستخدمونه لتمديد العمر الافتراضي القصير لزيادة نقاء السلائف والمواد الوسيطة ودمج مثبتات مثل «تراي بيوتايل أمين» ذلك يسهم في السماح للسارين كي يتم تخزينه في أغلفة من الألومنيوم. في الأسلحة الكيميائية الثنائية، حيث يخزنون اثنين من المواد الأولية بشكل منفصل في نفس القذيفة ويخلطونهما لتشكيل العامل الكيميائي مباشرة وتكون تلك العملية قبل أو عند إطلاقها، وذلك الوقت كافٍ بشكلٍ كبير.

اعتراني الشك أنها عادت لتساندهم مرة أخرى، وظهرت على وجهي علامات القلق، ويبدو أنها لاحظت ذلك، فقالت:

نحن سنضع أسطوانات الهيدروكسيد بدلًا من أسطوانات «تراي بيوتايل أمين» وأنا سأتعامل مع هذه الأسماء المدونة على كل أسطوانة وأغيرها، وبذلك يتبقى أمامنا مشكلتان يجب حلهما خلال الأربع وعشرين ساعة القادمة.

***

قرار مصيري

في مكتب رئيس الاتحاد، يجلس السيد: محمد حازم على رأس طاولة مستديرة، وعن يمينه مستشاره السيد: حيدر الموصلي، أشار لنا السيد: يعقوب وقال:

تفضلا.

اقتربنا من الطاولة مع كلمات السيد: حازم، البشوشة كوجهه، الحازمة كطبعه قال:

اقتربا واجلسا هنا يا أبنائي.

اقتربنا وجلسنا عن يساره، وعندما جلسنا نظر إلينا بعينيه السوداوين، ووجهه الباسم وقال:

قولا يا أبطالي ما عندكما.

نظر إقبال إليَّ، ثم التفت إلى السيد: حازم، وقال:

يا سيدي لقد حدث شيء غريب ونخشى ألّا تصدقنا.

ابتسم ابتسامة صافية، ونظر إلى مستشاره، ثم قال:

انظروا يا أبنائي، أنا أعلم أن ما تريدان قوله لهو شيء هام حقًّا، حتى أن همه طفا على وجهيكما، كما تطفو قطعة الخشب على سطح الماء، وهذا يدل على أنكما شباب مهتم بأمر وطنه وأمته، لذلك قولا مشكلتكما وإن شاء الله نستطيع الوصول معًا لحلها.

أومأ لي إقبال لأتكلم، فقلت:

يا سيدي لقد تواصل معنا سكان كوكب خارج المجرة، وقد علموا بوجود خطر مُحدق بالبشرية جمعاء، بل بجميع العوالم وليست البشرية فقط.

كانت نظراتهم توحي بالدهشة والاستنكار، لكن قصصنا عليهم القصة كاملة، بداية من المركبة التي هبطت أمامنا حتى جلسنا معهم، قلت لأمحي استغرابهم:

أعلم أنه شيء عجيب، نحن في بادئ الأمر ظنناه حلمًا، لكننا حينما وجدنا الأدوات التي أمدونا بها لتساعدنا في حل هذا الأمر، علمنا أنه ليس حلمًا.

وأخرج إقبال من حقيبته القلادتين والشريحة الزرقاء وجهازًا بحجم الهاتف المحمول، وقال: هاتان القلادتان سيحجبان عنَّا تتبع الأقمار الصناعية، وعدسات الكاميرات، وإذا مسحنا على اللؤلؤة من أسفل ستعرض لنا شاشة هولوجرامية صغيرة بها عدة أيقونات لتساعدنا في هذه المهمة، وهذا الجهاز إذا وضعنا به هذه الشريحة، سيعرض لنا كل ما نحتاج إليه من معلومات وخرائط دقيقة للأماكن التي سنذهب إليها.

نظر السيد حازم بدهشة واستغراب، ثم قال بصوت وقور:

إذن فلتقم بتشغيل هذا الجهاز لنرى.

نظر إليَّ إقبال لأسانده، فقلت:

حسنًا. لنرتدي أولًا القلادتين، ونرى عملهما مع كاميرات المراقبة.

ضغط السيد حيدر الموصلي على زر موضوع على الطاولة، فظهرت أمامنا شاشة هولوجرامية، وظهر عليها صورة حية لاجتماعنا، وطلب منَّا البدء، فارتدينا أنا وإقبال القلادتين، فما أن شغلناهما فإذا بصورنا تختفي من على الشاشة، وسط ذهول منّا نحن أيضًا.

ونظر إلينا السيد حازم وقال:

حسنًا وماذا عن الجهاز.

نظرت إلى إقبال وابتسمت، فقال وهو يخرجه من حافظته، ويضع الشريحة فيه:

لقد أخبرنا أبينوس أنهم سيزودوننا بالمعلومات اللازمة في رحلتنا ومهمتنا.

شغَّل الجهاز فأصدر صوتًا غريبًا، ثم ضغط إقبال على الزر الأبيض في جانب الجهاز، فتحول الصوت للغة عربية، يقول:

مرحبًا بكما أيها الأعزاء.

وظهرت شاشة هولوجرامية بها أربع أيقونات، الأولى «قائمة المهام»، الثانية «المساعدة والأدوات»، الثالثة «الخرائط»، الرابعة « الرسائل

والتواصل»، وظهر أربع نقاط بجانب أيقونة الرسائل، تدل على وجود رسائل واردة من كوكب المرمر، فتح إقبال الرسائل فوجد الأولى مكتوب فيها «من كوكب المرمر إلى إقبال، يجب أخذ الجهاز من العالم «شانيول» أولًا»، والثانية كانت مبشرة إلى حد ما وجاء فيها «أحد عملائنا استطاع تعطيل عمل السلاح لفترة وجيزة»، أما الثالثة «لقد استطاعت المنظمة إعادة العمل في السلاح، يُحتمل الانتهاء منه في غضون ثلاثة عشر يوماً»، أما بالنسبة للرابعة فكانت موجهة للسيد رئيس الاتحاد وكانت صوتية، فطلب منّا أن يستمع إليها مع مستشاريه فقط.

فنظرنا لبعضنا في دهشة، أما هو فضغط على الزر الذي على الطاولة فدخل شاب ممشوق القوام دعاه بـ «حسن»، قال له:

استدعِ مستشاري الاتحاد، ووزير الدفاع، ووزير الخارجية، ليأتوا الآن.

خرج حسن، وطلب منَّا السيد رئيس الاتحاد الانتظار في الاستراحة حتى يستشير المسؤولين في هذا الأمر، خرجنا وانتظرنا في الاستراحة، ومرت ثلاث ساعات من المناقشات والاستشارات كثلاث سنوات، وما زلنا أنا وإقبال ننتظر في الاستراحة على أحر من الجمر، حتى دخل السيد يعقوب، وقال:

تفضلا بالدخول، السيد الرئيس ينتظركم.

توجهنا بلهفة إلى مكتب السيد حازم، فوجدناه يجلس في مكانه، وعن يمينه السيد وزير الدفاع ووزير الشؤون الخارجية ومستشاره السيد حيدر الموصلي، أشار إلينا فجلسنا عن يساره، وقال:

انظروا يا أبنائي. بعد الاستشارة والمناقشة لقد قررنا الآتي؛ أولًا سيتحرى وزير الدفاع من المخابرات الحربية عن هذه المنشأة الخاصة بالسلاح، وهذه التحريات ستأتي غدًا إن شاء الله، وهي ستبين نقاط القوة والضعف فيها، مما سيساعدكما في مهمتكما، ثانيًا سيطلب وزير الشؤون الخارجية اجتماع «مؤسسة الردع الدولية» (مُرَد) المسؤلة عن حماية الدول من أخطار الحروب والإرهاب، ليساعدوكما في استخراج أوراق دخول البلاد بسهولة، وليقدموا لكما المساعدات الكافية، أمّا ثالثًا وهي الأهم، ستدخلان من اليوم في تدريبات خاصة ومكثفة، تحت إشراف السيد وزير الدفاع، يجب أن تجتازا هذه التدريبات بنجاح قبل بدء العملية، وأخيرًا إن وطنكم وأمتكم يثقان في أبنائهم الشباب، الذين لا يرضون لأمتهم الهوان أبدًا.

نهض السيد الرئيس من مكانه وأمر وزير الدفاع ببدء التدريب، وأن يعطينا الشارة»ب»، أدى وزير الدفاع التحية العسكرية للسيد الرئيس وألقينا التحية عليه أيضًا وخرجنا، وبعد أن عبرنا باب المكتب كانت التساؤلات في رأسي كثيرة، فنظرت للسيد وزير الدفاع، وسألته قائلًا:

لقد درسنا مادة التربية العسكرية من المرحلة الإعدادية حتى الثانوية، ومررنا بثلاثة شهور تدريب بعد أن أنهينا دراستنا في الكلية لكننا لا نعلم ما هي الشارة»ب».

قال السيد وزير الدفاع:

يا بني هذه شارة القائد الثاني تعدّ بعد الشارة «أ» التي يرتديها القائد الأول في "مُرَدَ" ولا يعرفها إلا أعضاء هذه المؤسسة، لتجعلهم يعرفون

بعضهم، وبذلك إذا احتجتما لأي قوة عسكرية ستكون تحت إمرتكما ما لم ترتدِ الشارة «أ» وعادةً حامل الشارة «أ» لا يتحرك إلا في الطوارئ الكبرى، وهذه شارات الاتحاد العربي الإسلامي، وبالطبع لا يرتديها إلا من يمر بالتدريبات الشاقة التي سترونها.

لا أدري لمَ تذكرت تدريبات كوكب المرمر، وليماثا. ونظرت لإقبال فشعرت أنه تذكر نفس الأشياء فابتسمنا وسرنا حتى وصلنا السيارة المخصصة لوزير الدفاع وركبنا معه وكان يقص علينا طوال الطريق ذكريات ومآثر كثير من الأبطال، الذين وضعوا أنفسهم أمام الخطر ليحموا أمتهم، «فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ[٢٣]»

***

٢٣ - الأحزاب الآية»٢٣«

الجمرة الخبيثة

نتفحص كلارا الاسطوانات الموضوعة في مخزن المعمل، وفجأة.

قالت كلارا وهي قاطبة حاجبيها غضبى:

لا. لا. لا يمكن. هذا ما كنت أخشاه حقًّا.

قلت بقلق:

ماذا هناك؟

أجابت بحزن شديد:

إنهم سيستخدمون الجمرة الخبيثة.

قلت:

الجمرة الخبيثة؟!

قالت:

نعم. لقد بدأت الولايات الأمريكية عام ١٩٤٢م برنامجاً لاستخدام الجمرة الخبيثة في الحرب البيولوجية، ولقد توصلت بالفعل من خلال

هذا البرنامج إلى تصنيع «قنابل الجمرة». لقد تم صنع هذه القنابل بحيث تحتوي كل منها على قنيبلات (تبلغ حوالي مئة قنيبلة)، وذلك حتى تتضاعف قوتها التدميرية عند الارتطام، كانت الولايات الأمريكية تخطط لاستخدام هذه القنابل البيولوجية في الحرب العالمية الثانية، غير أنها قد لجأت إلى استخدام القنبلة الذرية رغبة في حسم الحرب؛ وفي أثناء الحرب العالمية الثانية أيضًا اتجهت بريطانيا إلى إنتاج قنابل الجمرة الخبيثة، حيث جرت تجاربهم في جزيرة «جروبناد» بالقرب من اسكتلندا، أما عن الاتحاد السوفييتي فقد كانت لديه مخزونات من أسلحة الجمرة، الأمر الذي بات معروفًا منذ ١٩٧٩م.

قلت بغضب:

يا لهم من أغبياء، ماذا لو تسربت هذه الجرثومة في المؤسسة؟

قالت كلارا بيأس:

حقًّا يا نيكسون، إن شراسة جرثومة الجمرة الخبيثة وقدرتها على الكمون في البيئة على مدى سنوات طويلة كلها أمور تعني شراسة الإرهاب، مما كان يستوجب مزيدًا من التطوير في الإجراءات الرقابية على المستويات القومية والدولية، وبخصوص هذا الأمر تجدر الإشارة إلى أن التوابع الإرهابية التي تكمن في استخدام الميكروبات كقنابل يمكن أن تنشأ دون قصد، لقد حدث ذلك بالفعل عام ١٩٧٩م زمن الاتحاد السوفييتي عندما تسربت جراثيم الجمرة من مصنع للحرب البيولوجية في مدينة سفردلوفسك Sverdlovsk. لقد أدت هذه الكارثة إلى وفاة ٦٨ شخصا (من عدد ٧٩ شخصاً كانوا قد أصيبوا بالعدوى من جراء التسرب).

قلت بقلق:

لقد وجدنا حلًا للسارين، فماذا سنفعل في هذه الكارثة؟!

أجابت:

لا أدري يا نيكسون، لكن يجب أن نجد حلًّا، فهناك طرق لتنظيف المواقع الملوثة بالجمرة الخبيثة أكثرها شيوعًا هو استخدام عامل مؤكسد مثل البيروكسيدات، وأكسيد الإيثيلين، ساندايا الرغوة، ثاني أكسيد الكلور (الذي استخدم في مبنى هارت التابع لمجلس الشيوخ)، والمنتجات التي تحتوي على ماء الجافال هيبوكلوريت الصوديوم. لكن هذه العوامل تدمر ببطء، وتستخدم فالمواقع المصابة، يجب أن نجربها على إحدى الأسطوانات لكن.

قاطعتها:

لكن هذا خطير للغاية.

أخذت كلارا تحصر عدد الأسطوانات التي تحتوي على هذا الوباء اللعين، وتسجل في مفكرتها الصغيرة كل شيء، فجأة سمعتُ صوت خطوات أحدهم، فهمست لكلارا، قائلًا:

أحدهم قادم.

ثم بدأت أتحدث بشكلٍ طبيعي وقلت:

يجب أن ننهي هذا السلاح في أقرب وقت يا عزيزتي، لننتقم من الذين تسببوا في دمار إمبراطوريتنا، ونعيد السيطرة على العالم أجمع كما كنَّا.

ابتسمت كلارا مع دخول ديفيد، وقالت:

سننهيه في أسرع وقت يا عزيزي نيكسون، أليس كذلك يا جنرال ديفيد؟

ابتسم ديفيد بثقةٍ وقال:

نعم يجب أن ننهيه في أسرع وقت، وإلا لا مكان لنا على وجه البسيطة.

ووجه كلامه لي قائلًا:

أخبرني يا نيكسون عن حال المحركات الحديثة؟

أجبته بنصف ابتسامة:

في أفضل حال يا جنرال، الآن يستطيع المحرك الدوران حول الكوكب بدون توقف، ولا خلل.

ابتسم ابتسامته المعتادة، وقال:

هذا ما أريده.

وضحك وهو يربت على كتفي، وخرج وهو يقول:

هيا تقدموا في عملكما أكثر وأكثر، فحلمنا بات قريبًا.

وما أن علمت كلارا أنه ابتعد، حتى قالت وعلامات الاستنكار والغضب على وجهها:

هل حقًّا تطور المحركات لتكون بهذه القوة؟!

ضحكت وقلت لها:

نعم. لدرجة أن الصاروخ لن يقلع من مكانه.

ابتسمت كلارا، واقتربت مني وهي تقول:

كثيرًا ما كنت أفكر في الخطأ الذي أفعله، وكنت أرى أني مضطرة لأن أنجز لهم ما يريدون، ولم أفكر أن يصيب السلاح عائلتي قط، أو أحد من البشر الذين سعيت لتقديم أحدث أنواع العلاج الكيميائي لهم، لكن الآن أشكر الرب الذي أرسلك لتدلني على الطريق القويم.

قلت لها بنبرة هادئة:

لا تقلقي سنغادر هذا المكان قريبًا.

لكن كيف سنحل أمر الجمرة الخبيثة؟!

***

فرسان الشرق

بعد ثلاثة أيامٍ من التدريب الشاق، والذي أهلنا لبدء المهمة، وفي تمام العاشرة صباحًا اجتمع بنا كلٌّ من السيد وزير دفاع الاتحاد العربي الإسلامي، والجنرال مايكل ممثل "مَرَد" عن منطقة الشرق الآسيوي، والجنرال جورج آرثر قائد من قوات الحكومة الشعبية في الولايات الأمريكية بعد الدمار الذي حدث، والذي شارك الثوار في مكافحة آثار دمار الولايات الأمريكية وإعادة بناء البنية التحتية، وقد حضر بناءً على دعوة من الجنرال مايكل؛ بدأ الاجتماع بكلمة السيد وزير الدفاع وبعد أن مهد للموضوع ترك الحديث للجنرال مايكل الذي بدأ حديثه وهو يعرض خريطة هولوجرامية للموقع الذي يوجد فيه العالم الصيني، وتحدث قائلًا:

ستأخذان الطائرة المتجهة من مطار القاهرة الدولي إلى مطار آنشان -الصين-، ستقلع الليلة في تمام الساعة السابعة ونصف، في رحلة طويلة خلال خمس وعشرين ساعة، ثم تصلان إلى مطار آنشان في حوالي الساعة الثامنة والنصف مساءً، وهذه الجوازات بأسماء مستعارة، وبها حجز الفندق وتذاكر الطيران، وهناك حُجزت لكما غرفة في فندق

«Masses» على بعد حوالي نصف ساعة من المطار، ستستريحان هناك حتى الصباح، وستجدان في خزانة الغرفة في وسط المناشف مفاتيح سيارة تيسلا رقم «KE Y٢٠٨٠» ومن هناك ستذهبان إلى فنغتشنغ، وستجدان من ينتظركما هناك، وسيساعدانكما في كل ما تحتاجانه، ونحن سنتابع تحركاتكما بهذين الجهازين، وهذه الشريحة بها الخريطة المفصلة للطرق التي يجب أن تسلكاها، ما عليكما إلا تركيب الشريحة في جهاز تحكم السيارة وهي ستسلك الطريق الصحيح والأسرع من خلال اتصالها بالقمر الصناعي؛ هذا ما عندي.

وأشار للجنرال جورج آرثر ليتحدث، قال الجنرال جورج:

يا أبطال كلنا الآن في مركب واحد، ونحن-الولايات الأمريكية- في وضع حرج، حتى الآن لم نستطع تعمير البنية التحتية التي دمرتها الحرب اللعينة، ولا نقدر على تحمل آثار حرب جديدة، فأنتما ليس أمل الاتحاد العربي الإسلامي فقط، بل أمل البشرية كلها، ونحن سنساعدكما حتى نتجنب هذه الحرب، وسنمدكما بكل خرائط شوارع وأنفاق الولايات الأمريكية، وكل ما تحتاجانه في مهمتكما، وسنمدكما بالجنود الذين تحتاجونهما، وأرى أنه ليس الآن وقت التفصيل في الحديث، لكن بعد انتهاء مهمتكما في الصين سألقاكما في الولايات الأمريكية لأقدم لكما ما تحتاجانه.

تكلم السيد وزير الدفاع:

هيا يا أبنائي فأنتما الآن تابعان لمنظمة «فرسان الشرق» تلك المنظومة التي تحمل على عاتقها حماية الاتحاد وأهم سماتها «السرية»، لتجهزا

أغراضكما وتستعدا لهذه المهمة الثقيلة، وسيكون معكما فريق تواصل ليتابع أهم ما توصلتما إليه، فقط ستحدثانه في حالات الطوارئ.

نظرت إلى إقبال بابتسامة، فقال:

نحن جاهزان لقد وضعنا في حقائبنا كل ما نحتاجه، لكن هل ستفتش الحقائب في المطار؟

ابتسم السيد وزير الدفاع، وقال:

لا يتم تفتيش من يحمل جواز السفر المختوم بختم الـ"مُرَدَ" ولا عناصر «فرسان الشرق».

أدينا التحية العسكرية له وانصرفنا إلى غرفتنا، قال لي إقبال بابتسامة ثقة:

يبدو أن المغامرة هذه المرة أكثر تشويقًا.

أجبته وأنا أعبث بهاتفي:

من الواضح ذلك.

نظر إليَّ نظرة ماكرة واختطف الهاتف من يدي، فصرخت فيه:

أعطني الهاتف.

فقال لي وهو يرفع حاجبه الأيسر:

ليس من الأدب العبث في هاتفك وأنا أحدثك، ألم يكن هذا كلامك من قبل؟

ضحكت وقلت له:

حسنًا ها أنت تردها. فقط أعطني الهاتف ولن أستخدمه في وجودك أبدًا.

ضحكنا ثم توضأنا وأدينا صلاة الظهر، وذهب كل واحد إلى سريره لنأخذ قسطًا من الراحة قبل موعد الطائرة، وفي الساعة الثالثة عصرًا، استيقظ إقبال وأيقظني لنصلي العصر، صلينا العصر، وحزمنا حقائبنا في السيارة، وودعنا السيد وزير الدفاع بالعبارات الحماسية، وذكّرنا بأسماء بعض الأبطال الذين يحفل بهم تاريخنا الإسلامي، وختم بشعر العماد الأصفهاني بعد نصر حطين، ليذكرنا ببطولة المسلمين وأجدادنا المصريين، قائلًا:

حططت على حطين قدر ملوكهم
ولم تبق من أجناس كفرهم جنسًا
بواقعة رجت بها الأرض جيشهم
دمارًا كما بست جبالهم بسًّا
بطون ذئاب الأرض صارت قبورهم
ولم ترض أرضٌ أن تكون لهم رمسًا
سبايا بلاد الله مملوءة بها
وقد شريت بخسًا وقد عرضت نخسًا
يطاف بها الأسواق لا راغب لها
لكثرتها كم كثرة توجب الوكسا.

فقال له إقبال بوجه مستبشر:

لن نموت ليحيا الوطن، لكن سنحيا لنرقى به فوق الثريا.

وأردف باسمًا: لكن إن متنا نحظى بشرف الشهادة، والشهادة حياة وخلود، كما وعدنا رب العزة في كتابه الكريم في سورة آل عمران «**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)**»

ابتسم وحيانا بالتحية العسكرية، ثم احتضننا وودعنا، داعيًا لنا بالتوفيق؛ ركبنا السيارة وانطلق بنا أحد الضباط إلى المطار، وفي الطريق هاتفنا الشيخ سيد، وسألناه الدعاء لنا، فشدّ عزيمتنا وذكرنا بأول شهيدة فالإسلام «سمية بنت الخياط» والأبطال حمزة بن عبد المطلب، وخالد بن الوليد، وأسامه بن زيد وغيرهم من الصحابة الكرام -رضي الله عنهم وأرضاهم-، وبعد انتهاء المكالمة التي بعثت في نفوسنا الراحة والطمأنينة، وكنا قد اقتربنا من نفق الشهيد أحمد حمدي، فتذكرنا شهداء الأمة منذ عصر الصحابة بداية من أول شهيدة في الإسلام حتى شهداء ثورات الربيع العربي، من الشعب والجيش، فالكل كانوا مسلمين، لكن فرقتهم الأحزاب، فلقد كان كل حزب يظن أنه على الطريق المستقيم؛ قرأنا لهم الفاتحة وتذكرناهم بدعواتنا ليغفر لهم الله أجمعين؛ أبطأ الضابط السيارة أمام مدخل المطار، فأظهر له الحراس الاحترام وحيوه بالتحية العسكرية، فقد كانت السيارة تحمل أرقامًا خاصة بوزارة الدفاع، ثم نزلنا أمام صالة الانتظار فحيانا مودعًا على أمل بلقاءٍ آخر.

الشطيرة اللذيذة

بعد ثلاث ساعات من العمل وقد بلغ الجهد منّا مبلغه، نظرتُ إلى كلارا التي أصبحت كالفراشة المبتلة من كثرة العرق، ونظرت إليَّ بابتسامة توحي بالنجاح، وهمست قائلة:

لقد نجحنا في إيقاف عمل السارين، واستبدلنا أسطوانات اليورانيوم المخصب بنسبة ٩٠٪، بأسطوانات أخرى مخصبة بنسبة ٥٪ مما يعني أنهم لن يستطيعوا استخدامه كسلاح دمار شامل، وأمّا بالنسبة للجمرة الخبيثة.

صَمَتت قليلًا ثم أردفت:

فقد نجحنا في إضافة أكسيد الإيثيلين إليها لعله يبطل مفعولها أو يقلل ضررها، وحتى إن لم يقلل ضررها وانطلق الصاروخ فسيسقط في مكان قريب لن يخرج بعيد عن هنا.

قاطعتها لأُلومها على هذا التفكير اليائس:

نحن لا نريد حتى أن يصيب الضرر هذه البقعة أيضًا، لكن نأمل أن ننجح في ردعهم، ولن يستطيعوا النجاح في هذا الأمر.

أومأت برأسها تأمن على كلماتي، وبدأت تتثاءب، فقد نال منها الإرهاق فقلت لها:

هيا لنأخذ قسطًا من الراحة.

وذهب كل منّا إلى مضجعه، وسقطت في النوم كأني لم أنم منذ حين؛ لكن.

استيقظت على صوت كلارا تهزني، وهي تهمس قائلة:

استيقظ يا نيكسون، يبدو أنهم لاحظوا شيئًا.

انتفضت من مكاني واقفًا، لا أدري كيف لكني بقلق شديد سألت كلارا بصوت هامس:

ماذا؟. ماذا لاحظوا؟!

أجابت كلارا بقلق:

لا أدري، لكن يجب أن نرى ماذا يفعلون، فهم حتى الآن فتشوا كل المكاتب وكل الغرف، حتى أنهم لا ريب سيدخلون المعامل أيضًا.

وقفت الكلمات في حلقي تأبى الخروج، وسرت في جسدي قشعريرة، لا ليست قشعريرة خوف من الموت، أو قضاء عمري في غياهب السجن، لكنها خوف من الفشل، فإن فشلي وكلارا يعني دمار مدن كثيرة، وهلاك أناس لا ذنب لهم، حتى أنه سيكون هناك أطفال وسط هؤلاء الضحايا الأبرياء، هزتني كلارا لتخرجني من هذه الأفكار السوداء أو هلاوس اليقظة، **وهي تقول:**

هيا لنذهب إليهم، ونرى ماذا يفعلون.

خرجنا ورافقناهم، وهم يبحثون في كل مكان حتى أنهم كانوا يرفعون القلم وينظرون أسفله، فابتسمت ابتسامة مكتومة، وأشرت إلى كلارا كأني أخبرها أنه مجرد تفتيش أمني، فظللنا نرافقهم حتى انتهوا، وكانوا إذا استفسروا عن شيء نجيبهم بأي شيء، وكانوا يصدقون بدون تدقيق، وكنت أنظر إلى كلارا وأرفع حاجبي كأني ألومها على إيقاظي.

وبعد أن أنهوا تفتيش المكان وكدنا أن نمنعهم من دخول المعمل، لكن في الأخير دخلوا وفتشوه بدون جدوى لهم، تنفسنا الصعداء وخرجنا ونظرنا إلى بعضنا، ونحن نخفي ضحكة انتصار اِختصِرت في ابتسامة خفيفة.

أشارت كلارا إليَّ وقالت:

هيا لنأكل شيئًا، فقد شعرت بالجوع. حقًّا ألا تشعر بذلك؟

قلت لها مداعبًا:

حتى إن لم أشعر بالجوع.

غمزت لها وأردفت:

لنحتفل على طريقتنا ولو مؤقتًا.

ابتسمت وقالت:

هل تأكل حينما تحتفل؟

ابتسمت وأجبتها:

لا لكني آكل حينما أجوع، وحينما أغضب، وحينما أفرح، و.

قاطعتني قائلة:

حسنًا فهمت أن حياتك تعني طعام.

ضحكنا وذهبنا إلى المطبخ، وظننا أننا سنجد السيد إبراهام الذي يعد لنا أشهى أنواع الرقائق التي تعد من أفضل ما يوجد في هذا المكان، لكن وجدنا شابًا جديدًا، عرفنا بنفسه «جوني»، نَظَرت إليَّ كلارا في ارتياب، لكني لا أدري لمّ شعرت بارتياح من ذهاب ذاك الرجل الصهيوني، وأشعر بالراحة من أول وهلة لهذا الشاب، فقد يكون جاء فقط للعمل في المطبخ، نظرت كلارا نحوه وقالت:

لكن أين السيد إبراهام؟

أجاب بثقة وهو ينظر إليها نظرات ثاقبة، كأنه يقرأ أفكارها، قال:

لقد قتله ديفيد لأنه شارك في محاولة خيانة للمؤسسة، وقد نال ما يستحق.

احتقنت الكلمات في حلقها، وشعرت بالغثيان، وقامت تجري نحو الحمام، لأننا نعلم ما عقاب من يخون المؤسسة، وهي القتل، اقتربت منه وطلبت بعضًا من حساء الخضار الساخن وبعضًا من الرقائق التي لا يوجد غيرها في هذه المؤسسة اللعينة.

قال لي وهو ينظر بنفس تلك النظرات ودقق على كلمته الأخيرة:

ألا تشتهي أكل شطائر «الفرسان»؟!

ونظر نظرة مستبشرة، فتلك إشارة الذين يعملون في نفس مهمتنا، «فرسان الشرق».

قاطع أفكاري قائلًا بهمس:

الاتحاد يبلغك السلام.

نظرت إليه بابتسامة وقلت:

أخبرني ما الأخبار خارج هذا الكهف اللعين؟

قال لي بحذر:

لن نتحدث كثيرًا لكيلا نلفت النظر، ستصلك شطيرة لذيذة ستطفئ جوعك.

رددت في نفسي «رسالة لذيذة» وابتسمت، فقلت له بصوت مرتفع مع اقتراب كلارا:

هيا لتأتي لنا بالطعام.

ما زالت كلارا تنظر بارتياب له، أحضر لنا الوجبات التي طلبتها، مع أنه زاد من شوقي للطعام الشرقي، إلا أنني اكتفيت بطعامهم الآن وكنت آكل بحذر على غير عادتي، حتى أجد الرسالة، وحين وجدتها، خبأتها تحت لساني ودخلت الحمام لأجدها شريحة إلكترونية لا تتعدى الـ ٥ مم، وضعتها في الجهاز الإلكتروني داخل الصليب، وبدأت عرض

الرسالة الهولوجرامية، بعد ما يقرب من خمس دقائق خرجت من الحمام، وتظاهرت بالإعياء لكيلا ألفت النظر، أسرعت كلارا إليَّ بفزع، وقالت:

هل أنت بخير؟

أجبتها:

نعم أنا بخير، لكن معدتي تؤلمني قليلًا.

أخذتني إلى الغرفة، وخرجت مسرعة ثم عادت بحساء ساخن وهي تقول بابتسامة:

لقد جهزته لك بنفسي.

قلت بدهشة:

لِمَ؟!

قالت:

بدلًا من أن تشكرني. لقد ذهب جوني، أو اختفى!

قلت:

اختفى؟! كيف وأين؟!

لكني علمت من كلماته أنه سيذهب، لكن كيف ومتى؟ لم أستطع سؤاله، فتذكرت تنبيهه «إن ذهبت فلا تبحث عني، وإن عدت سأجدك»

قطعت أفكاري كلارا:

لا أدري لكني لم أجده وحين سألت عنه قالوا لا ندري وديفيد يبحث عنه.

قلت:

حسنًا. هيا بنا لنعد لعملنا.

ونهضت فنظرت لي كلارا وترقرقت دمعة في عينها، وقالت:

لقد أقلقتني عليك.

فأجبتها مازحًا:

هل ظننتِ أنك ستفقدينني بتلك السهولة؟

لكمتني في كتفي وهي تقول بصوت حنون:

أرجوك لا تقل ذلك، فأنا لا أدري إن كان لي أحد سواك أم لا، لكن في كلتا الحالتين لا أستطيع البعد عنك.

مسحتُ تلك الدمعة التي سالت على خديها، وأنا أنظر في عينيها الساحرتين، وأقول:

حسنًا، لا تدعي لؤلؤك يتناثر هباءً، ولكي تفرحي، «همست في أذنها بالخبر السعيد» ورددت:

تبقى القليل للغاية.

تورد وجهها وكادت أن تصيح فرحًا، لكني هدأتها كي لا يفتضح أمرنا، ومن ثم عدنا إلى عملنا بأمل أكبر من سابقه، فعدت إلى محركات الصاروخ أعيد دراسة معادلاتي وحساباتي عليه، وعادت تراجع معادلاتها الكيميائية، ومر يوم آخر وازددنا أملًا بالحرية، وشعرت أن قلبي بدأ ينبض باسمها كما كانت تخبرني عن حال قلبها، وهذا ما كنت أخشاه.

وبينما كنت أراجع معادلاتي، دخل أحد المهندسين المساعدين، وكان أسمر اللون رشيق البنيان، وسألني:

أتظن أن هذا المحرك سيخرج من مكانه بتلك المعادلات؟!

***

فنغتشنغ

وبعد ثماني ساعات من النوم في فندق «Masses»، استيقظنا أنا وإقبال في تمام الساعة السادسة صباحًا، أدينا صلاتنا وبعدها سمعنا صوت طرقات على الباب، نهضت وفتحت فوجدت العاملة قد أحضرت الطعام، وتحدثت بالصينية بكلمات سريعة، لم أفهمها لكن كانت توحي بأنها تقدم لنا الإفطار، أشرت إليها أن تنتظر، فقام إقبال بتشغيل جهاز الترجمة السريعة، وشكرها، فنظرت إلينا وابتسمت، وقالت:

إن احتجتما لشيء آخر يمكنكم الضغط على هذا الجرس وطلب ما تحتاجانه.

وأشارت إلى أيقونة خضراء تشبه الجرس في جهاز يشبه جهاز الإرسال لكنه أكثر تطورًا، فشكرها إقبال وانصرفت.

نظرت لإقبال، وقلت:

هيا لنتناول الإفطار، أنا أتضور جوعًا.

ورفعنا الغطاء عن الطعام فوجدناه عبارة عن وجبتين «يو تايو» « you tiao» وهي عبارة عن خليط من شرائح العجين والكعك المقلي

مع حليب الصويا الدافيء، والحساء الساخن «كونجي» «congee» وهو عبارة عن حساء صيني مصنوع من الأرز، قلت لإقبال:

الحمد لله. إلى حد ما الطعام مناسب، ولم يحضروا لنا طبقًا من العقارب المقلية، أو شرائح الضفادع المتبلة بأحشاء الحشرات البرية.

نظر إليَّ إقبال نظرات مشمئزة، وقال:

تناول طعامك ولا تتفوه بكلمة أخرى، وإلا.

قاطعته:

لا تكمل ها أنا سأصمت، آه مِن إلا هذه.

ضحكنا وتناولنا طعامنا، وفي تمام الثامنة صباحًا، أخذنا مفتاح السيارة التي أخبرنا عنها السيد مايكل، ونزلنا إلى المكان الذي أخبرنا عنه، وأخذنا السيارة وانطلقنا بها إلى فنغشتنغ عبر طريق لياو تشونغ، ومن ثم استخدمنا الخريطة الإلكترونية، ومررنا على القرى الخضراء والمدن العامرة، وجبال ومرتفعات اتشحت جميعها بوشاح أخضر عتيق، تنظر بعينيك إلى جانبي الطريق يأخذ عقلك ويطير به في أجمل الأحلام، لم أدرِ بنفسي حتى وصلنا استراحة منطقة الخدمات الجبلية، فأخذنا قسطًا من الراحة لنستنشق النسيم الذي يتسابق ليحتضن صدورنا، ثم تابعنا طريقنا بين الجبال الخضراء تارة، وبين القرى الخضراء تارة أخرى، وبين المدن الصغيرة ثالثة، حتى اقتربنا من موقع وسط المدينة، وقبل أن نأخذ الدوران أوقفتنا سيارة سوداء ضخمة، ونزل منها ثلاثة رجال مفتولو العضلات، لا يبدو أنهم من الصين أبدًا، لا هذا الجسم العملاق، ولا هذه العيون الواسعة الزرقاء، ولا هذا الشعر الأشقر، اقتربوا من السيارة

وتحدث أحدهم وكان أعلاهم رتبة، وقال بلهجة ألمانية لكن نفعنا الجهاز في ترجمتها، وعرَّف نفسه:

مرحباً بكم أيها الأبطال، أنا القائد وليام من قوات "مُرَدَ" وهؤلاء من فريقي، ماكس وأرنولد.

رد إقبال عليه بابتسامة لطيفة:

مرحباً بك.

أشار لنا أن نتبعه بسيارة أخرى غير تلك التي خرجنا بها، فهو قد قام بالاستخبارات اللازمة عن المكان الذي يوجد فيه شانيول، تبعناه حتى دخل طريق وسط غابة كثيفة من شجر البلوط، وعيدان الخيزران المتناثرة على الطريق، لولا أن السيارتين دفع رباعي ما كنا استطعنا الدخول، يبدو أنهم أحكموا حساباتهم لتلك المهمة، وبعد نصف ساعة من السير وسط الغابة في طريقٍ صلبة للغاية، وتكاد تكون مظلمة، بدا ضوء ساطع على بعد مئة متر تقريباً، أشار لنا وليام الذي توقف ونزل هو ومن معه من السيارة، وأعطى لكل واحد بدلة تسمى «راتيك» مصنوعة من مادة مقاومة للحرارة تسمى «أراميد» التي يمكن أن تتحمل الحرارة في ظل الاتصال المباشر باللهب والتي اخترعها الجيش الروسي في القرن الماضي، ارتدينا البدلتين وتحركنا معهم، حتى وصلنا خلف منزل قديم على الطراز الصيني القديم المتسلسل الهرمي، أشار وليام إلى ماكس، فتقدم إلى الأمام بحركة سريعة لا تكاد تلحظ، وبعد خمس دقائق ووليام ينظر إلى خاتم إلكتروني في إصبعه، حين أضاء الخاتم باللون الأخضر أشار لنا بالتقدم، مما يعني أن ماكس استطاع تعطيل برامج المراقبة والإنذار، في

حين دار أرنولد من الناحية الأخرى للمنزل، وحاوطنا المنزل على هيئة شكل مثلث، كل واحد منَّا معه سلاح ليزري مثبط للأعصاب غير قاتل، ومسدس سي زد ٧٥ وهو من أفضل المسدسات من عيار ٩ ملم بسبب جهازية التلقيم، والقطر العريض لجهازية التسديد، ويمكن لمشطه أن يتسع لثلاثة أضعاف مماشط المسدسات الأخرى، وهو ذو تصميم هندسي متفوق، الأول يستخدم لإخضاع الخصم دون هلاكه فهو يبقي من يصيبه فاقد القدرة على الحركة لمدة ٤٥ دقيقة، مما يسهل السيطرة عليه، أمّا الأخير فهو يستخدم في حالة الاشتباك المباشر مع الخصم، وتمكن ماكس وأرنولد من الولوج إلى داخل المنزل، من ثم ركل وليام الباب الرئيسي بضربة قدم واحدة فانفتح، في الوقت الذي كان قد سيطر فيه ماكس وأرنولد على الحراس الذين بالداخل، وفي خلال عشر دقائق كنا قد سيطرنا على المكان، وقيدنا جميع من فيه، لكن لم نجد شانيول، فأشار وليام إلى ماكس فأفاق أحد الحراس فسأله وليام:

«أين شانيول؟»

فلم يجبه، مما اضطره لاستخدام العنف معه، ولكن بدون جدوى، اقترب إقبال من هذا الحارس، ووجه شعاعًا ليزريًا من قلادته تجاه عينيّ الحارس، ويبدو أنه يقوم معه بعملية التنويم المغناطيسي، حيث أن عينيه بدأت تدور في محجريهما، ثم قال له بهدوء:

«هيا فلتخبرنا أين شانيول بدون تعب أو إرهاق؟»

اندهش وليام مما فعل إقبال، وقال له يمازحه:

إذًا لمَ تركتني أجهد نفسي بضربه؟

وضحكنا.

تحدث الحارس بصوته المُجهَد، قائلًا:

إنه في غرفة أسفل المنزل، يمكن الوصول إليها من النفق الذي خلف الخزانة.

تبسم مانويل وقال:

أبسط طريقة استجواب رأيتها في حياتي العسكرية.

ووجه سلاحه الليزري إلى الحارس ليبقيه بدون حركة، لكنني منعته قائلًا:

قد نحتاجه.

نظر بذهول وسأل:

في ماذا؟

أجاب إقبال:

قد يكون هناك أبواب تفتح بالبصمة.

أومأ برأسه، وتمتم:

حقًّا أحفاد الفراعنة! وليس الخوارزمي منهم ببعيد.

تبسم إقبال وهو ينظر إليَّ، وهو يقول:

هيا بنا، لكن كموا فمه لكيلا يفصح عنَّا.

وفتحنا الخزانة وسلكنا النفق، وقفت ووجهت سلاحي إلى الحارس، وسألته:

كم عدد الحراس في هذه المنطقة؟

وفككت كمامته، فقال لي:

يوجد خمسة حراس هنا، اثنان في آخر النفق، وواحد في نهاية السلم من أسفل، واثنان على باب المعمل.

أعاد إقبال الكمامة على فمه، ونظر إليَّ فقلت له:

هناك حل رائع، سآخذ ملابس هذا الحارس وأتخلص من الحارسين اللذين في نهاية النفق، وتأخذان ملابسهما، وهكذا نتجنب المواجهة المباشرة.

رحبوا جميعهم بتلك الفكرة، وبدأنا بتنفيذها، لكن كدنا أن نفضح فماكس وأرنولد بالكاد تدخل في أذرعهم تلك الملابس، أنهينا أمر الثلاثة في آخر النفق وأسفل السلم، ووضعت سبابة الحارس على البصمة ليفتح الباب، كنّا على أتم استعداد للانقضاض على الحارسين الآخرين، لكن لم يكونا في مكانهما كما أخبرنا الحارس، وبتلقائية وجه وليام سلاحه ناحية الحارس، فأشرت له بأن يأخذ ساتر، ووضحت له أنهم قد يكونوا استطاعوا فك شيفرة المراقبة وأعادوا عمل الكاميرات، فتولينا أنا وإقبال تلك المهمة فطالما نرتدي القلادتين لن ترصدنا الكاميرات، وبالفعل تقدمنا بحركة مباغتة للحارسين، في الوقت الذي كان الأربعة الباقون يتراجعون للخلف، فظن الحارسان أننا نتراجع، فكانت المباغتة سلاحًا فعالًا كما هي في أغلب الأوقات، ولكن للأسف اضطررنا

لاستخدام المسدس سي زد ٧٥، فسقطا غارقين في دمائهم، مما جعلنا نشعر بالأسى لأنهم بشر على كلٍ حال، فأشرنا لباقي الفريقٍ فتقدموا، وفتحنا الباب ببصمة الحارس أيضا، ووجهنا أسلحتنا جميعا للداخل، وقد حاول شانيول التصدي لنا، باستخدام درع كهرومغناطيسي، لكن عاجله وليام بشعاع ليزري قبل أن يبدي أي ردة فعل متهورة، وقييده أرنولد، وقام ماكس بإفاقته، وركز إقبال شعاع قلادته عليه، فأخبرنا بعد جهد من مراوغته للشعاع بمكان الجهاز، وبكيفية عمله وبسر خطير لم يكن ليخبر أحدًا عنه ولو عُذِب حتى الموت.

***

إلى الولايات

أبلغ وليام قوات "مُرَدَ" وجاءوا للتحفظ على شانيول والتحفظ على ذلك المعمل، ونظر إلينا قائلًا:

لقد أنهيتما عملكما هنا، فلتأخذا جولة -إن شئتما- في هذا البلد العجيب قبل رحيلكما، إلى أن يأتي موعد الطائرة.

ابتسمنا وقبلنا هذا العرض الرائع، وجاءت مروحية للمكان الذي كنا فيه وسط الغابة، وأخذتنا إلى الفندق في رحلة جوية في سماء الصين، فوق الغابات والقرى والمدن ترى الناس على الأرض كخلايا النحل لا تكل ولا تمل.

وبعد ساعة راحة في الفندق، قام إقبال بتشغيل الجهاز، وأرسل لأبينوس آخر التطورات، والذي أبدى أعجابه بهذه السلاسة التي مرت بها المهمة الأولى، وأخبره أن القادم أصعب قليلًا، ولكنه تدارك كلماته كي لا تكون مثبطة بقوله «لكن لا شيء صعب على فرسان الشرق!»، ضحكنا أنا وإقبال، وكنت أعتزم سؤاله عن الكلمات التي قالها نيني سافا حينما أطفأ جهاز الترجمة، وعن الرسالة التي أرسلها لرئيس الاتحاد ثم

حذفها، شعرت بقليل من الفضول لكنّي تراجعت عن سؤاله، ثم راسلنا وزير الدفاع وبشرناه بهذه الأخبار الجميلة -التي كانت قد وصلت إليه قبلنا- ممن لست أدري الآن؟ لكنه زاد من فضولي أيضًا، لكن بدوره تواصل مع الجنرال جورج، والذي أخبرنا بأنه ينتظرنا في لويزيانا[٢٤]، في مبنى الدفاع الوطني الأمريكي، والذي أقيم لإعادة بناء الولايات الأمريكية بعد الحرب، واستطاعت حكومته السيطرة على معظم الولايات، والبدء في إعادة هيكلة البنية التحتية، لكن ظلت تؤرقهم المدن المتمردة، والتي كثيرًا ما تباغتهم بالهجوم على مخازن الأسلحة والغذاء ونهب ما بها، وكان من المدن المتمردة سان خوسية التابعة لولاية كاليفورنيا التي استغلها مناصرو الحزب الجمهوري الأمريكي، والذين تعاونوا مع الماسونية ودعموا العصابات بالأموال الكثيرة، وذلك ليصنعوا الأسلحة ويسيطروا على الولايات الأمريكية مرةً أخرى؛ وأخبرنا بتواجد طائرة من نوع «برق ٧٣» -والتي صنّعت في مصانع الصحراء الغربية- في مطار آنشان لتقلنا من الصين إلى الولايات الأمريكية، والتي ستهبط بنا في مطار «كونا الدولي» على جزر هاواي، ومنه إلى مطار «لافاييت» في لويزيانا وهناك سيستقبلنا الجنرال آرثر ويرافقنا حتى مبنى الدفاع الوطني الأمريكي في لويزيانا؛ وفي غضون ساعة جاء وليام ورافقنا إلى المطار، وأخبرنا بسعادة أنه طلب الإذن من قياداته لمرافقتنا لهذه المهمة، وانطلقت «برق٧٣» تشق الفضاء حتى وصلنا إلى هاواي، ومنها إلى لويزيانا، من الخضار ولون الماء أضحت كل المشاهد أسفلنا بلون الرماد المقترن بالدمار.

٢٤- هي ولاية تقع في المنطقة الجنوبية من الولايات الأمريكية. عاصمتها هي مدينة باتون روج.

قال قائد الطائرة:

استعدوا للهبوط، وارتدوا أقنعة الغاز لأن الأجواء الأمريكية غير مستقرة.

هبطت الطائرة، واستقبلنا الجنرال إيدج آرثر، وكان رجلًا أشقر الشعر تنم عيناه الزرقاوان خلف القناع عن دهاء وعلم كبيرين.

قال:

مرحبًا بكم أيها الأبطال، هيا بنا نذهب للجنرال جورج فهو في انتظاركما، وبعدها أرافقكما للاستراحة لتستريحا من سفركما.

قال إقبال ببسمة شكر:

حسنًا. هيا بنا.

وانطلقنا عبر طريق «E-٣٥٣-LA» باتجاه مبنى الدفاع الوطني الأمريكي، الواقع على شاطئ بحيرة مارتن، لكن في منتصف الطريق حدث ما لم نكن نتوقعه، وأصابتنا الدهشة حينما وجدنا إيدج آرثر يتعامل معه كأنه كان ينتظر حدوثه بشوق.

توقفت أمامنا سيارة رنج روفر سوداء، من سيارات الدفع الرباعي، فدار آرثر بطريقة جنونية، كادت تقلب السيارة على جانبها، لكنه أثبت براعته في القيادة، وأخذ يتفادى الطلقات الموجهة إلينا من السيارة الأخرى، وانحرف شمالًا إلى طريق ترابي وسلكه حتى منتصفه وضغط على زر أسفل عجلة القيادة فانطلقت السحب الدخانية لتبتلع كل ما يدخل فيها، وضغط على مكابح السيارة ونزل منها، وأشار إلينا بالبقاء

في السيارة، وبسرعة أخرج جالونًا ممتلئًا بمادة سوداء لزجة وسكبه على الطريق من خلفه وألقى جهازًا صغيرًا بجوار الجالون، ثم أسرع إلى السيارة وانطلق في وسط غابة من الأشجار المطلية باللون الرمادي، وقال:

إن هذه المادة شديدة الاشتعال، ما أن يصلوا إليها ستشتعل وتكسبنا بعض الوقت.

فسألته مستنكرًا:

بعض الوقت فقط؟!

أجابني بابتسامة ثقة:

لا تخف، فبعض الوقت كافية لتجعلني أهرب منهم، لكن سيارتهم مصفحة من الأسفل فلن تصل النار إلى المحركات لتعطلهم أكثر، وبعد دقائق معدودة ظهرت في المرآة السيارة مرة أخرى، وبدأت مطاردتنا بوابل من الطلقات، وفي هذه الأثناء قطب آرثر حاجباه وتمتم:

إذن فلتذهبوا إلى الجحيم.

وضغط على زر أمامه فانفتحت الحقيبة، وخرج منها فقاعة نارية ابتلعت السيارة ودوى خلفنا انفجار عظيم، ثم انفتحت حقيبة السيارة مرة أخرى بضغطة على زر آخر، فخرج منها شبكة خيوط كثيفة لتمحو آثار السيارة حتى لا يتبعنا غيرهم.

وبعد ساعة تقريبًا من المغامرات في طرق وسط الغابة، وصلنا إلى المبنى، وهو عبارة عن ثلاثة طوابق على سطح الأرض، واكتشفنا بعدها أنه مثل السفينة يغوص نصفه الآخر في باطن الأرض كما

يغوص نصف السفينة في باطن البحر، لونه مثل لون لحاء أخشاب الزان -رمادي اللون- ومزدحم سطحه بالأجهزة الرادعة وأجهزة رصد الصواريخ للدفاع عنه في حال الهجوم عليه، واستقبلنا الجنرال جورج بابتسامته المعتادة، قائلًا:

مرحبًا بالأبطال.

دخلنا المبنى المصمم من الحوائط الخرسانية السميكة، لمواجهة الهجمات المتوسطة، وتخفيف أثر الهجمات القوية على الجزء الأسفل من المبنى، ركبنا المصعد ونزل بنا إلى الطابق الأوسط في الجزء الأسفل، فكما علمنا أنه الطابق المخصص للاجتماعات واستراحة العاملين في المبنى، والطابق الذي أسفله مخصص للأسلحة السرية وأنفاق خروجها من أسفل بحيرة مارتن، والطابق العلوي مخصص للاتصالات وتلقي الإشارات، هذا عن الجزء الأسفل، أما الجزء العلوي فكان عبارة عن ثلاثة طوابق من أجهزة الرصد والردع، ودخلنا قاعة الاجتماعات ووجدنا هناك خمسة أشخاص بزي عسكري كالذي يرتديه جورج، ويحملون نفس الأوسمة والأشرطة العسكرية، فعرفنا جورج بهم، قائلًا:

هؤلاء هم حُماة الولايات الأمريكية وأملها في العودة للركب الحضاري، الذين استطاعوا توحيد صفوف الولايات التي يديرونها، ومن ثم كان اتحادنا لمواجهة الولايات المتمردة، وفي هذا المقام يجدر بنا أن نوجه الشكر للاتحاد العربي الإسلامي والاتحاد الأوروبي اللذين قدما لنا الكثير من الدعم.

جلسنا حول الطاولة وبدأنا نستمع لهم، وعن كيفية الولوج لهذه المنشأة الخاصة بالسلاح، فاقترح أحدهم الهجوم البري، واقترح آخر الإنزال الجوي، وهكذا كُلٌّ أبدى رأيه إلا زعيم ولاية تكساس «ذكريا بوجيبار»، فتحدث قائلًا:

نحن لا نستطيع الهجوم البري لأننا لا نعلم مدى تسلحهم، وقد يكون الرد متهورًا وينفجر السلاح وبذلك نخسر جميعًا، وكذلك الإنزال الجوي والهجوم البحري، لكن هناك حلًا واحدًا يمكننا من الولوج للمنشأة بدون خسائر.

تحمس الجميع لهذا الحديث وحثوه على أن يكمل، فوضع خريطة قماشية لمنطقة سان خوسية وما حولها على الطاولة، وأشار إلى نقطة وقال:

في هذه المنطقة منطقة التلال الشرقية، قبل الحرب ببضع سنين أُنشأ فيها أكبر مشروع لصرف مياه الأمطار، ووصل هذا المشروع حتى مدينة سان خوسية، وهذه المنطقة التي تقام فيها منشأة السلاح اللعين، وهي عبارة عن أنفاق تابعة لهذا المشروع، وهذا الخط هو الخط الوحيد الذي يصل إلى هذه المنشأة.

وأشار إلى خط مرسوم باللون الأحمر ثم أكمل:

ومن سان خوسية يصب في خليج سان فرانسيسكو.

كان الجميع ينصت له بذهول لسماع هذه المعلومات، وظللنا نتناقش حتى وضعنا الخطة للعبور من هذه الأنفاق.

شغل إقبال الجهاز وفتح خرائط المنشأة، وكان أبينوس قد أرسل خرائط دقيقة للغاية للمنشأة، أثبتت صدق كلام جنرال ذكريا بوجيبار، وأخذ يتفحص الأنفاق جيدًا ثم قال:

إذن متى ننطلق؟!

ابتسم جنرال جورج وقال:

استريحا اليوم وغدًا نبدأ التحرك.

وفي هذه الأثناء دوى في المكان صوت صافرات الإنذار، فبدا علينا علامات القلق لكن.

***

الوقت العصيب

بدا القلق على وجهي، وتصبب جبيني عرقًا وهو يردف:

هذه المعادلات إن طبقت كما هي، فإن ذلك يعني انفجار الصواريخ في مكانها، وبذلك يكون هلاكنا نحن قبل غيرنا، هلا تكرمت وأخبرتني بسبب تغييرك لمعادلات الانطلاق؟

استجمعت قواي لأجيبه في الوقت الذي دخل فيه الجنرال ديفيد غاضبًا، فازددت توترًا، قال ديفيد:

ما هو وضع المحركات؟

أجابه المهندس:

كل شيء على ما يرام يا سيدي.

رد عليه بغضب:

وما شأنك أنت؟ أنا أسأل نيكسون.

أجابه بثبات:

لقد كان مريضًا في هذا الصباح، وأنا أساعده لذلك أجبتك.

هدأ روع ديفيد قليلًا، في الوقت الذي قلت فيه:

كل شيء على ما يرام يا جنرال.

لكنه نظر لي وقال:

لا وقت لدينا للمرض، لم يتبقَ أمامنا إلا خمسة أيام، وسنرجع أسياد العالم مرة أخرى، ويبدو أن هناك من يطاردنا، يجب أن نعمل بأسرع ما يمكن.

لم ينتظر إجابتي وخرج وهو يكاد يحدث نفسه كالمجنون، ونظرت للمهندس بدهشة، فقال بابتسامة خفيفة:

لا تقلق نحن هنا لإتمام المهمة معًا، أحدهم كان سيكشف مخططك لتعطيل المحركات، ولكني توليت أمره.

فغرت فاهي من الدهشة، وسألته:

من أنت؟ ولِمَ لم تخبر الجنرال ديفيد بما تعلمه عن حال المحركات؟

أجابني بهمس وبنفس الهدوء القاتل:

أنا كاني من ضباط «مُرَد» وخدمت في الهيئة الهندسية التابعة للاتحاد العربي الإسلامي لتحويل استخدام أسلحة الحرب إلى الاستخدام السلمي، مثل تحويل السلاح النووي لمولدات الطاقة الكهربائية، والأسلحة البيولوجية تفكيك مركباتها لمركبات نافعة، والأسلحة الكيميائية تفكيك

مركباتها واستخدامها في العلاج، والصواريخ وحاملات الأسلحة لرحلات الفضاء.

كنت أستمع له بانبهار ودهشة، فأولًا يظهر جوني ثم يختفي ومن ثم كاني، وما خفي أعظم، لكني قاطعته قائلًا:

لكن مع كل هذه التحفظات من القائمين على أعمال هذه المنظمة، كيف تمكنت من الولوج إلى هنا؟!

أجابني بابتسامة وكلمة واحدة:

العلم.

تبسمت وقلت:

أعلم أن العلم قادر على كل شيء، لكن كيف ساعدك في هذا الأمر؟

أخرج من جيبه قناع شفاف، وقال:

هذا هو.

ولما رآني غير متفهم أردف قائلًا:

هذا القناع المصنوع من مواد جيلاتينية تتأقلم مع الجسم إذا لامسته وتأخذ تفاصيله الدقيقة، فإذا وضعته على وجه أحد الحراس، ثم أخذته وارتديته لا يستطيع أحد التفريق بينكما إلا بفرق الطول أو الوزن، فنحن استطعنا استبدال ثلاثة أشخاص حتى الآن، أنا وجوني وأحد الحراس الذين يساعدوننا فالولوج إلى هنا، ثم إن تلك المؤسسة كما حولها عادت

للبدائية، ليست كمثل أمريكا العظمى كما كانوا يطلقون عليها، فهم جمعوا كل ما لديهم من تقدم تكنولوجي وكرسوه للسلاح ولم يهتموا بغيره.

وبينما نتحدث أنا وكاني، ظهر جوني! لكن علامات القلق على وجهه، أغلق الباب وتأكد من عدم وجود أحد غيرنا، فقال:

لقد اعتقلوا د. كلارا.

وقعت الكلمة على أذني وقع الصاعقة، فنهضت بسرعة ولم أتمالك نفسي، وهممت بالخروج من الباب، لكن أمسك كاني بيدي، وقال:

لن تحل بهذه الطريقة، يجب أن تهدأ لنجد حلًا وتأكد أنّا لن نتركها، فنحن لا نترك من يساعدنا خلفنا.

وأخذ يُهدأ من روعي ومع الوقت بدأت أتقبل كلماته، فقلت له بقلق وأنا أصارع دمعة ترقرقت في عيني:

ما الحل إذن؟

فسأل جوني عن الذين اعتقلوها وسبب اعتقالهم إياها، فأجابه:

اكتشفوا أنها أبطلت عمل بعض المركبات، والذين اعتقلوها حراس المعمل بأمر من د. بوجا وينتظرون عودة الجنرال ديفيد لتتلقى عقابها.

قال كاني وهو يهرش رأسه:

حسنًا اذهب أنت الآن ولا تظهر في الوسط.

ووجه كلماته لي قائلًا:

هيا بنا لنخلص كلارا قبل أن يأتي ديفيد ونشاركها جميعًا العقاب.

خرجت أنا وكاني صوب الغرفة التي وضعوا فيها كلارا، وكانت في آخر ممرٍ لا يدخل إليه أحد سوى الحراس، فأشار إليَّ كاني وأخرج مسدسًا صغيرًا من حذائه من صناعة شركة سويس ميني قان السويسرية، فهو لا يتعدى حجمه حجم الإصبعين، ويحمل بداخله ست طلقات من عيار نصف ملي شديدة السمّية، وحينما رآنا الحراس أشهروا أسلحتهم تجاهنا، فرفعنا أيدينا مضمومة، وحينما اقتربوا منّا بحركة سريعة أطلق كاني على رقبة أحدهما، ومن فرط غضبي أطلقت على الآخر ثلاث طلقات، لولا كاني لكنت أفرغت كل ما كان بقلب سلاحي، فسحبناهما للداخل، وقام كاني برفع أحدهما ووضع سبابته على بصمة الباب فانفتح، وكانت كلارا شبه منهارة، فأسرعت ودخلت إليها، وأسندت رأسها على كتفي كالطفل الذي عاد إلى والده بعد الغياب، ولا أدري أهي التي شعرت بالأمان أم أنا؟!

قال كاني بترقب:

ليس وقت المواساة الآن، هيا بنا لنذهب.

خرج ثلاثتنا من الغرفة بترقب، وما إن وصلنا نهاية الممر حتى فوجئنا بديفيد يوجه سلاحه إلى رأس كاني، وضغط على أنيابه وهو يقول:

كنت أعلم ذلك. والآن لتختاروا الطريقة المناسبة لموتكم.

الوضع أصبح صعباً للغاية، جوني ينظر بقلق، والكل يترقب ماذا سيفعل هذا المجنون المتهور؟ وضع الحراس القيود المعدنية في أيدينا، وألقونا بالغرفة التي كانت بها كلارا، ووقف ديفيد يرمينا بنظرات حاقدة، وهو يقول:

كنت أعلم أنكما أفسدتما المحركات، لكن لن يكفي ذلك لإيقاف السلاح، فالبرامج جميعها قيد التشغيل بمجرد ضغطة زر.

ووجه سلاحه إلى كاني ووضع يده على الزناد، لكنه لم يطلق وضربه بمؤخرة المسدس، وقال بسخرية:

لا، لن تموتوا بهذه السهولة التي تتوقعوها، بل سأجعلكم تدفعون ثمن خيانتكم لي بمشاهدتكم احتفالي بالنصر على جثث موتاكم.

وضحك ضحكة عالية كأنه انتصر تردد صداها في المكان كأنه صوت الشيطان.

نظرت كلارا إليَّ بوجهها الذي احمرّ من كثرة البكاء، وتمتمت بصوت مبحوح:

لِمَ أتيتم إليَّ؟ لمَ لم تتركوني وتنهوا مهمتكم؟ الآن سنموت جميعًا بل وسيموت الكثير من الأبرياء.

رفعت يديّ المقيدتين لأمسح دموع عينيها، وأنا أقول لها:

لِمَ القلق ونحن قد أنهينا مهمتنا؟ هيا قلت لك قبل ذلك لا أريد رؤية لؤلؤك المتناثر مرة أخرى.

أجهشت في البكاء وألقت برأسها على كتفي، وخرج كاني عن صمته منذ أن ألقونا في هذه الغرفة، وقال وهو يتألم من أثر الضربة:

لا تقلقا، فهم لن يستفيدوا من قتلنا، إن مصلحتهم في حياتنا، لذلك سيفاوضوننا عليها.

قالت كلارا بدهشةٍ وهي تمسح دموع عينيها:

وما فائدتهم من حياتنا؟!

أجابها:

أنسيتِ إفسادك للمركبات؟ ونيكسون أفسد عمل المحركات؟ لذلك اعلما أنهم سيفاوضونكما على ذلك.

سألته بلهفة:

ولكن ما العمل؟ وكيف سنوافقهم على ما يطلبونه؟

اتكأ كاني على الحائط وأخذ يفكر، وقال:

سنرفض أولًا، ثم سنطلب منهم الوقت للتفكير، وفي ذلك استثمار لوقتنا.

صمت كاني عندما سمع صوت أقدام تقترب من الغرفة، فدخل أحد الحراس ومعه الطعام، وكان ثلاثة أطباق من ذلك الحساء الساخن، وضعها الحارس إدوارد من فتحة تحت الباب وتركها وذهب بقلق وهو يغمز لكاني، فأخذ كاني يقلب بملعقته في طبقه وبدأ يتفحصه لكن لم أدرِ ماذا يفعل.

ثم توقف وعرض شاشة هولوجرامية من قلادة كان يرتديها وتواصل مع أشخاص قال إنهم يعملون معنا وهم على وشك الوصول.

وفجأة تحسست شيئًا معدنيًا في طبقي، فنظرت له بدهشة وأخرجته، فإذا به مفتاح صغير فأعطيته لكاني فانفرجت أساريره، وقلت له بقلق:

هل سنخرج الآن من هنا؟!

فقال:

بالتأكيد سنخرج لكن ليس الآن.

وبعد مرور ساعة دخل جوني غرفة الحجز، وهو يحمل أحد الجنود ووضع إصبعه على البصمة، وانفتح الباب وحررنا من تلك القيود، سأله كاني:

هل الجميع مقيدون؟!

أجابه:

نعم لا تقلقوا، فجميعهم في سبات الموت.

خرجنا جميعًا من الغرفة باتجاه الجدار الفاصل بين النفق والمنشأة، وفجأة سمعنا دوي طلقات فالمكان وصوتًا من خلفنا يصيح:

أيها الخونة.

وبسرعة ألقينا بأنفسنا في مكان مستتر من الطلقات، التي بدأت تنهمر علينا كوابل من السماء، ثم توقفت الطلقات، وسمعنا صوت تغيير خازنات الذخيرة، ثم طلقتين مكتومتين وسقط الجنديان صرعى،

وخلفهما الجندي الذي أحضر لنا الطعام، فتقدمنا للأمام لنطمئن من عدمٍ وجود أحد غيرهم، والتفتنا خلفنا وبغضب صاح كاني في جوني قائلًا:

ألم تقل إن الجميع مقيدون؟!

لكن وجدنا كلارا تجلس بالقرب منه، وهو ملقى على الأرض يتألم، فأسرعنا إليه وتحول غضب كاني لقلق عليه، فقد أصابته طلقة خلف كتفه الأيسر، وخرجت من تحت إبطه.

صاح كاني في قلقٍ:

جوني. لا تقلق لن يحدث لك شيء، اعذرني يا صديقي.

ابتسم جوني ابتسامة متألمة، وغاب عن الوعي.

***

في النفق

بدأنا أنا وإقبال ووليام، وخمسة جنود من جنود الولايات الأمريكية، بالتسلل إلى الأنفاق، لكنها كانت رحلة شاقة هذه المرة، سوف نسير على الأقدام حوالي خمسة عشر كيلومترًا، وأي سير في مثل هذه الأنفاق الوعرة المظلمة، وبعد رحلة في الجو ما يقرب من ثلاثة آلاف كيلومتر، وأي رحلة! فهي رحلة محفوفة بالمخاطر العديدة، لولا أسلحة الردع المزودة بها الطائرة «برق ٧٣» لكنّا في خبر كان، فسرعتها التي تبلغ الثمانية ألاف كم/ الساعة تسهل حركتها وعدم قدرة الردار على رصدها، وخاصة حينما تسير في مستوى منخفض من الأرض، وذلك أيضًا كان يؤثر على طاقتنا، وها نحن نسير لمدة ساعة كاملة، ولم نستطع قطع سوى ثلاثة كيلومترات، وهذا إلى حد ما جيد في مثل هذه الظروف القاسية، قال إقبال:

فلنسترِح هنا قليلًا، ومن ثم نكمل كي لا نهدر طاقتنا هباءً.

جلسنا في مكان شبه صالح للجلوس وكأنه غرفة تحكم فمكان التروس موجود حتى الآن، وذهب جنديان لينظرا لأمان النفق، واقترب وليام من إقبال الذي كان يجلس بجواري، فأفسحت له المكان، واتكأ إلى

جدار النفق خلفه، خلع أحد الجنود قناعه، وهو يعبث بجهاز صغير في يده، ونظر لنا بدهشة وقال:

الهواء نقي لا يوجد أي أثر للغازات السامة.

رد عليه أحد الجنديين اللذين كانا يأمنان النفق، قائلًا:

والأعجب وجود نباتات خضراء في هذا النفق المظلم.

وأعطى لوليام ورقة من هذا النبات، وبدوره أعطاها لإقبال، وقال الجندي الذي كان يمسك الجهاز:

هذا نبات «أسبدسترا» ينمو جيدًا في الظل والظل الخفيف وإذا تعرضت لضوء الشمس المباشر تتحول حوافها إلى اللون البني، وهذا يدل على وجود تصدعات في جدار النفق أو سقفه.

شغَّل إقبال الجهاز وعرض على الخريطة الهولوجرامية موقع هذا المكان، وقال:

نحن الآن بالقرب من مجرى كويوت كريك المائي، يجب أن نكون قد اقتربنا.

وبعد برهة من الصمت، نظر وليام إلى إقبال، وقال له:

لم تخبرني شيئًا عن دينك! لطالما قرأت عنه وعمَّا ذكر فيه عن المسيح وأمه، لكنّي لم أتوغل فيه كثيرًا.

نظرنا إليه بدهشة، وقال إقبال:

إن الإسلام هو دين الوسطيّة والاعتدال كما أخبرنا ربنا -عز وجل، وهو القائل في كتابه: **(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)** [البقرة:١٤٣]، وإنّ وسطيّة الإسلام تتجلّى في مظاهر كثيرة في الحياة، فهو لا يكلّف النّفس الإنسانيَّة ما لا تطيق من التّكاليف الشّرعيَّة أو الفروض الرّبانيَّة، كما أنّه يدعو المسلمين إلى الوسطيَّة في كلِّ شيء، ففي الإنفاق المادي ينبغي على المسلم ألّا يجعل يده مبسوطة، حيث يدخل في الإسراف والتّبذير، ولا أن يجعلها مغلولة إلى عنقه، وكذلك الحال في تعامله مع النّاس وحكمه عليهم وقضائه فيهم، وهو القائل أيضًا: «لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» [الممتحنة:٨]؛ إن الإسلام هو دين الرّحمة والتّسامح والعفو، فمن مميّزاته أنّه لا يتعامل معهم بأسلوب الغلظة والشّدّة، وإنّما يأخذ الجميع بالرّفق، واللّين، والعفو عند الإساءة، فالقوّة والإعداد في الدّين هي وسيلة لتحقيق غايات مشروعة، وأهداف نبيلة، لحفظ الأمّة وردع أعدائها، وليست الشّدّة والقوّة غايةً في ذاتها؛ الإسلام هو دين الرّبانيَّة، فيجب على المسلمين أن يكونوا منضبطين في سلوكهم اليوميّ وتعاملهم مع بعضهم بأحكام هذا الدّين العظيم وحدوده وتشريعاته، ولا شكَّ بأنّ ذلك يضمن أن يسير المسلمون وفق ما أراده الله لهم من منهج تستقيم به أحوالهم، بعيدًا عن هوى النّفس والأمزجة التي تؤدّي إلى الانحراف والزيغ، كما إننا نؤمن بالأنبياء السابقين جميعهم، بل إن ذلك شرط من

شروط الإيمان، فكما نؤمن بنبوة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- نؤمن بالمسيح عيسى بن مريم، وموسى بن عمران، وإبراهيم عليهم السلام جميعًا.

صمت إقبال قليلًا ثم قال بحماس:

هيا لنكمل طريقنا.

وسرنا حتى وصلنا منطقة منهارة وقد أغلقت النفق في هذه النقطة التي بها التشققات، تفحصنا الصخور فوجدناها قطعًا كبيرة يصعب تحريكها، فقال أحد الجنود:

يمكننا استخدام الأسلحة الليزرية في تفتيت جزء منها والعبور فرادى.

أجابه وليام وهو قاطب حاجبيه:

وإذا اكتشفوا أمرنا، وأردنا التراجع نكون قد حوصرنا.

قال جندي آخر:

يمكننا باستخدام مادة الديكسبان "Dexpan" والأسلحة الليزرية تفتيت جزء كبير منها.

وكانت طريقته هي الحل الأمثل، بدأنا العمل وكنا نتناوب مع بعضنا، حتى أتممنا فتحة مساحتها متر مربع تقريبًا، لكن حدث ما لم يكن بالحسبان.

قال إقبال بلهفة:

هيا اعبروا سريعًا، النفق ينهار. هيا. هيا. أسرعوا.

أسرع الكل وعبرنا جميعنا إلا إقبال وأحد الجنود، والذي فقد الوعي إثر سقوط صخرة على رأسه، عاد إقبال ليحمله متجاهلًا صرخات وليام والجنود الباقيين له بالفرار، ولم يجبهم وعاد ليحمل الجندي المصاب، وعبر به في نفس لحظة سقوط بقايا النفق لتغلق الممر من خلفهم، وظللنا نركض، وبدأ هذا الجزء من النفق يتهاوى أيضًا، حتى وصلنا لجزء آخر يبدو أنه الجزء الذي يقع أسفل مجرى كويوت كريك المائي، يبدو أنه معدني، في حين إنهار النفق كله من خلفنا مما أحدث موجة ترابية كادت تغرقنا لولا الأقنعة، وبعد فترة من الركض بدأ الوضع يهدأ فاستلقينا على أرض النفق نلتقط الأنفاس، وأخذ إقبال ووليام يعالجان الجندي، الذي فقد الكثير من الدم، وضمدا جرح رأسه باستخدام الصمغ الطبي الذى كان بدلًا من الخياطة، وهو عبارة عن مادة غرائية لاصقة ومرنة، يمكن استخدامها عوضًا عن الغرز الطبية، سواء للجلد من الخارج أو للأعضاء الداخلية، ويمكن لهذه المادة أن تتأقلم مع شكل الجروح وتأخذ نفس هيئة الأنسجة، وتغلق الجروح خلال ٦٠ ثانية، وذلك وفقًا لتصريحات فريق الباحثين من جامعتي نورث إيسترن الأميركية وسيدني الأسترالية في القرن الحادي والعشرين؛ وأضاء الجهاز بالضوء الأحمر فعلمنا أنها رسالة من أبينوس، يخبرنا فيها بالتواصل مع العملاء في المؤسسة، وظهر لنا أيقونتان، واحدة باسم نيكسون والأخرى باسم كاني، ضغط إقبال على الأولى، فظهرت له صورة هولوجرامية لرجلين وامرأة، قال أحدهم وكان أسمر اللون:

مرحبًا بكم أنا كاني.

قال إقبال:

مرحبًا بكم.

قال كاني:

ما الأخبار لديكم؟!

أجابه إقبال بحزن:

لدينا جندي مصاب، والنفق أغلق خلفنا.

أجابه كاني بمواساة:

لا تقلقوا فقد اقتربنا من تحقيق المهمة، لكن.

سأله إقبال:

لكن ماذا؟!

قال:

هناك جزء مغلق في نهاية النفق أيضًا، احذروا من أن ينهار أيضًا.

قال إقبال:

حسنًا، أخبرنا عن الوضع بالداخل.

قال:

يوجد خمسة عشرة جندي، وقائدهم ديفيد، وثلاثة مهندسين، وعالم يدعى بوجا، ونحن بالداخل أربعة، ثلاثتنا معتقلين والرابع ينتظر منّا الإشارة، سأرسل لك أيقونته لتتواصل معه.

وضع وليام يده على جبين الجندي ليستشعر حرارته، وابتسم قائلًا:

لقد عادت حرارته لوضعها الطبيعي، آمل أن يفيق عن قريب.

قلنا:

إن شاء الله.

وبعد مرور ساعة من الوقت، أضاء الجهاز مرة أخرى، لكنه هذه المرة من جوني، الذي ينتحل شخصية معد الطعام، تحدث قائلًا:

مرحبًا بكم أنا جوني.

أجابه إقبال:

مرحبًا بك ما الوضع عندك؟

أجابه:

لقد فعلت ما اتفقنا عليه أنا وكاني، ووضعت المادة المخدرة «Flunitrazepam[٢٥]» في الطعام، وسيأتي موعد طعامهم بعد ساعة من الآن، وتأخذ هذه المادة من عشرين لثلاثين دقيقة ليبدأ مفعولها،

---

٢٥ - هو أحد البنزوديازبينات (أدوية منومة) لكن يمتاز بتأثيره القوي جدا , صنعته شركة Roche

ويستمر من ساعتين لثلاث ساعات بالنسبة للجرعة التي وضعتها، سأحرر باقي الفريق ونسلسلهم جميعًا.

شكره إقبال، وطلب منّا أن نسرع لنصل إلى هناك، حمل الجنود الجندي المصاب لنسرع في السير، حتى وصلنا مفترق طرق في داخل النفق، أخرج إقبال الجهاز سريعًا وعرض الخريطة، وسلكنا النفق الأيمن لأنه الأقصر مسافة، وظللنا نسير حتى وصلنا الجدار المغلق.

***

نجاح مؤقت

قال وليام:

هل سننقض هذا الجدار؟ أم ماذا سنفعل؟

قلت:

فليذهب اثنان من الجنود من الناحية الأخرى من النفق، وإن كان مغلقًا أيضًا سنضطر لنقضه.

قال إقبال وهو ينظر للجدار بتأمل:

هذا حل جيد، لكن أخبرنا كاني بأن هناك جدارًا مغلقًا في نهاية النفق، فلن نضيع كثيرًا من الوقت، وسننقض هذا الجدار بحذر، حتى لا ينهار النفق علينا هذه المرة.

وافق الجميع رأي إقبال، وبدأنا نستخدم جهازًا ليزريًّا لنفتت الجدار، وقد كان الجدار سهلًا لأن سمكه لم يتعدى الثلاثين سم، وبذلك لن يؤثر على باقي جدران النفق، وخلال خمس دقائق استطعنا تفتيت إطار الجدار، وأخذ كل منّا مكانًا مستترًا في الوقت الذي انهار فيه الجدار،

وتقدمنا ببطء وحذر شديد، وفجأة وجدنا اثنين ينظران إلينا، فصوبنا أسلحتنا تجاههم وقبل أن نطلق النار، صاح الرجل الذي كان يحدثنا عبر الشاشة الهولوجرامية:

لا تطلقوا النار أنا كاني.

أجابه إقبال بابتسامة:

حسنًا، مرحبًا بك.

أومأ برأسه وهو يتنفس الصعداء، وقال:

لا وقت لدينا، هيا بنا لننهي مهمتنا.

وأشار لأربعة من الجنود، وطلب منهم ارتداء ملابس جنود المنشأة، وأمر اثنين منهم بالوقوف على الباب، وأعطاهما أجهزة الإرسال للتواصل معه.

واقتربنا أنا وإقبال من نيكسون وكلارا وجوني طريح الأرض، وعلمنا منهم ما حدث، ثم اقترب وليام، وتفحص جرح جوني، وأعطاه مسكن موضعي للألم، ونظف جرحه وضمده بالصمغ الطبي، وأعطاه مضادًا حيويًا، وقال:

لا تقلقوا سيفيق خلال دقائق، لكن من أين أتيا هذان الحارسان؟

قال نيكسون وعلامات القلق على وجهه:

لا ندري لقد أخبرنا بأنه سيطر على الجميع، لكنه قد يكون نسي أن هناك حارسان على الباب.

عاد كاني وقال بحزم:

سيبقى واحد مع جوني والباقي سيأتي لننجز عملنا.

قال إقبال:

حسنًا يبقى الجندي المصاب ليستعيد قواه، ونحن نأتي معك.

قالت كلارا:

يجب قبل أي شيء تأمين المواد الخطيرة من أي حدث طارئ، أو انفجار.

قال وليام:

حسنًا، هل يوجد مكان آمن في هذه المنشأة؟

قال نيكسون:

نعم يوجد، هناك غرفة في أسفل المعمل، مخصصة للطوارئ وقت الإطلاق ومجهزة لتحمل الانفجارات، يمكننا وضع المواد الكيميائية الخطيرة فيها.

وهنا تمتم جوني بكلمات غير مفهومة، فاقترب إقبال منه، فسمعه يتمتم: الكاميرات. المراقبة.

فسأل كاني عن ذلك، فقال:

لا أعلم، لكن سنجد الحل في غرفة المراقبة.

أسرعنا أنا وإقبال وكاني إلى غرفة المراقبة، وذهبت كلارا ونيكسون ووليام وإدوارد لتأمين المواد الكيميائية، فوجدنا أن الكاميرات في وضع السكون، وسينتهي خلال خمسة وسبعين ثانية، قال إقبال:

يبدو أن جوني قد عمل على تثبيت صورة الكاميرات ليعطي صورة شبه حية لدقائق قبل التثبيت.

قال كاني:

نعم هذا هو ما حدث بالفعل، لكن سينتهي هذا الوضع خلال، دقيقة واحدة.

قلت:

يجب تمديد هذا الوقت سريعًا قبل إعادة البث الحي للكاميرات مرةٍ أخرى، ويجب البحث عن مواقع الكاميرات وتغطية عدساتها تحسبًا لفشل تمديد وضع السكون.

ذهب إقبال وإدوارد وبقي كاني معي، وبدأت أغازل لوحة المفاتيح، وأداعبها بأناملي، مرتجيًا إياها قبل نفاد الوقت، أسرعت أكثر وأكثر، والوقت يتناقص بسرعة البرق، وتمتمت: هيا يا صديقتي الجديدة لا تخذليني في أول لقاء، والوقت المتبقي خمسة ثوان، العرق بدأ يتصبب، وأناملي ما زالت تتراقص مع الأزرار على الإيقاع السريع لنبضات قلبي. باقي ثانيتان. والعرق بدأ يحرق عينيّ، باقي من الوقت ثانية واحدة. ضربات قلبي طبول شرقية، وما زلت أطلب العون من الله.

انتهى الوقت.

لكن «تم إعادة تشغيل وضع السكون» نَخَرَّ جبيني ساجدًا لله حمدًا وشكرًا.

هذا جميل لقد استطعنا تأمين المواد الكيميائية، وكلارا بدا على جسدها الرقيق الإرهاق والكد لكثرة عبوات مركب السارين هنا، وما زالت قوانا أنا ووليام كافية إلى حد ما لمواجهة ما هو قادم، أغلقنا الغرفة جيدًا، وذهبنا إلى جوني والجندي المصاب، فوجدنا جوني بدأ يفيق، فقال وليام:

نحمد الرب على سلامتك.

أومأ برأسه بابتسامة، وقال:

لا أدري من أين خرجا هذان الحارسان؟ لقد سلسلت الجميع وقد أكلوا جميعهم من الطعام المُخَدّر، حقًّا لا أدري.

دخل كاني ولما رأى جوني قد أفاق انفرجت أساريره، وقال:

يبدو أنهم كانوا يحذرون من شيء مثل ذلك، لكنهم وقعوا فيه أيضًا.

قال الجندي:

أستطيع مساعدتكم الآن لقد تحسن جرحي.

وقال جوني:

وأنا أيضًا.

أومأ كاني بالموافقة، وقال إقبال مستفسرًا:

ماذا سنفعل الآن؟!

قال كاني بثقة:

نجمع أضلع المثلث الثلاثة، ونفك لغز البرامج السرية التي يعملون عليها.

قالت كلارا:

ديفيد مقيد بالداخل، وبوجا مقيد في معمله، لكن كيف سنجعل روبن يأتي إلى هنا؟ وإن رأى جنودكم على الباب سيعلم ما تخططون له، ما العمل الآن؟

قال إقبال:

هذا يسير للغاية، فقط سنجمع بوجا وديفيد، ونسيطر على عقولهما ونجعلهما يدعوانه إلى هنا.

أخذ كاني طرف الحديث وقال:

أمَّا بالنسبة للجنود فهم لن يجدوا سوى جنودهم المقنعين في أماكنٍ مناوبتهم، وهم سيساعدوننا في معرفة عدد الجنود مع روبن، وأيضًا سنحصرهم في المنتصف بعد دخولهم باب المنشأة.

بدأنا العمل وأخذنا ديفيد وبوجا إلى غرفة التحكم بالبرامج الإلكترونية، ووضعنا جهاز قارئ الأفكار الذي جعلنا شانيول يعيد تشغيله بعد محاولة إفساده له عندما حاصرناه، وهو جهاز شبيه بجهاز رسم المخ، قال وليام بدهشة:

لكن كيف يعمل هذا الجهاز؟!

أجابه كاني قائلًا:

في بدايات القرن الحادي والعشرين، طوّر العلماء هذا الجهاز المُذهل لقراءة أفكار العقل، ويقوم بترجمتها وعرضها على شكل نصوص فوريّة، ويقول العلماء إن معدّل دقة الآلة يبلغ ٩٠٪ أو أكثر، ويقولون إنّها تعمل عن طريق تفسير الحروف الساكنة والمتحركة في أدمغتنا، وقال الباحثون إن الجهاز سيتمكن من مساعدة المرضى، الذين يعانون من أمراض تجعلهم عاجزين عن الكلام أو الحركة، تُسجل الآلة وتحلل مزيج الحروف الساكنة والمتحركة الذي نستخدمه عند إنشاء جملة في أدمغتنا، وتفسر تلك الجمل بناءً على الإشارات العصبية، وتتمكن من ترجمتها إلى نص في الوقت الفعلي، وفي الواقع يزعم العلماء أنّ الآلة بإمكانها استخدام كلمات لم تسمعها من قبل.

قال وليام بذهول:

يا له من جهاز رائع! ويبدو أنه نتج عن جهد عظيم.

قال كاني:

لقد صرح مدير الدراسة ديفيد موسى: «لم يوضح أي عمل سابق تصنيفًا فوريًا للجمل بناءً على الإشارات العصبية، نظرًا للأداء الذي قدمه الجهاز في هذا المجال وإمكانية زيادته، فنحن نثق في قدرتها على العمل كمنصة لتطوير أجهزة تعويض الكلام».

قال إقبال:

أليس من الممكن استخدامه استخدامات تهين هذا الجهاز الرائع؟

أجابه كاني:

بالطبع ممكن، لذلك محظور تداوله إلا بتراخيص لذوي الاحتياجات الخاصة، والكثيرون يتخوفون من أن يتسبب في انتهاك خصوصيات الآخرين، من خلال كشفه عمّا يفكر به الناس، لكن لا يمكن حرمان ذوي الاحتياجات الخاصة منه بسبب هؤلاء الطفيليات البشرية، وجدير بالذكر أن الجهاز طُوِّرَ في جامعة كاليفورنيا، وشُرِحَت تفاصيله في دورية الهندسة العصبية[٢٦].

قلت له:

لكن كيف سنجعله يستدعي روبن إلى هنا؟!

أجاب بابتسامة ثقة:

هنا توجد المفاجأة يا نيكسون، حيث عمل شانيول على تطوير الجهاز ليمكن من إعطاء الأمر بواسطة إدخال الأمر نصًا مكتوب ينطقه من يرتديه.

فغر الكل فاه، فيا لها من مفاجأة مذهلة! وبدأ توصيف الجهاز وتوصيله برأس بوجا وديفيد، وبدأنا مرحلةً جديدةً، لنا فيها اليد العليا، وبدأنا نسيطر على الأمر سيطرة شبه تامة، فأخذنا معلومات هامة عن هذه البرامج حينما أجاب بوجا على الأسئلة الموجهة له، قائلًا:

---

٢٦ - معلومة كل ١٠ دقائق http://ma3loma10.com

هذا البرنامج يعمل على اختراق الأنظمة الإلكترونية، ولديه أكثر من خمسة ألاف خادم إلكتروني، لتيسير عمله، فلا نحتاج للسيطرة على وكالة الفضاء العربية الإسلامية، أو الأوربية، أو الآسيوية، سوى بضع ساعات.

وجه له كاني سؤال آخر:

وماذا بعد أن تسيطروا عليها؟!

أجابه:

حينما نسيطر على وكالات الفضاء ومحطاتها الفضائية والأقمار الصناعية، نقطع الاتصال بينهم، ثم نغير من مساراتها ومن ثم يسهل تدميرها، ومن بعدها أجهزة الدول كاملة، بحيث لا يستطيع أحد أن يرصد صواريخنا، الموجهة إليه ونفاجئ الأسلحة المضادة لأسلحتنا قبل أن تعمل، ونستطيع تدمير العالم كله، كما دمرت دولتنا، وسيتم إرسال شحنات من المواد القاتلة في صورة طاقة إلى كل جهاز يحمل شريحة إلكترونية.

وجه له كاني سؤال ثالثًا:

كيف يعمل هذا البرنامج، وكيف يبطل عمله؟

أجاب:

هو الآن في وضع الاستعداد، وأي إدخال خاطئ عليه يبدأ في العمل فورًا، فيسيطر على المحطات الفضائية والأقمار الصناعية، وخلال ساعات تعطى الأوامر للأسلحة الإلكترونية بتدمير موقعها، لكن أولًا يجب إدخال قرص البرمجة بعد الانتهاء من توصيفه.

قالت كلارا بلهفة:

أنا أعرف ذاك القرص، هو في ذلك الجهاز.

وأشارت إلى حاسوب مضاء، وعلى شاشته مكتوب «جاري التوصيف ٧٥٪»، فقالت كلارا:

حسنًا فهذا الجهاز غير متصل بجهاز البرنامج.

وجه له كاني بقية الأسئلة مرة أخرى:

كيف يلغى عمل هذا البرنامج؟

أجاب:

يجب أولًا إدخال رمز المرور والمكون من ثلاثة أضلاع تمثل هرم العناية الإلهية[٢٧]، ثم الضغط على أيقونة الإلغاء وادخال الرموز مرة أخرى، والتأكد من عدم انفصال تيار الكهرباء لأنه في تلك الحالة سيتحرر البرنامج ويعمل تلقائيًا ولا يمكن السيطرة عليه.

أعطى كاني الأمر لديفيد ليستدعي روبن، وقرب منه جهاز الإرسال، فتحدث بنبرة باردة كأنه روبوت، قائلًا:

مرحبًا سيدي سيبدأ تفعيل البرنامج نحتاجك معنا سيدي.

بعد لحظات، جاء صوت روبن:

---

٢٧ - إحدى نظريات المؤامرة تسعى لإثبات أن عين العناية الإلهية والهرم الموجودين على ختم الولايات المتحدة العظيم يبينان مدى تأثيرومشاركة الحركة الماسونية في تأسيس الولايات المتحدة. هذه النظرية تم اقتباسها سنة ٢٠٠٤ واستخدامها في فيلم الكنز الوطني الذي أخرجته والت ديزني.

أنا قادم فورًا، لكن كيف استطعتم التعجيل بهذا الأمر؟

أعطى كاني ديفيد الرد سريعًا، فقال ديفيد:

استطعنا صيانة القرص التالف وسنبدأ تفعيل البرنامج في خلال ثلاثين دقيقة.

رد روبن:

حسنًا دقائق وأصل إليك.

أغلق كاني جهاز الإرسال، وطلب من وليام والجنود الاستعداد، وطلب من الجنود على الباب إخباره بعدد الحراس مع روبن، وعدم التعرض لهم حتى لا يكشف أمرهم.

قالت لي كلارا:

سأبقى هنا يا نيكسون، كفاني ما رأيت من دماء مسفوكة.

قلت لها بابتسامة:

لا تقلقي فنحن بحاجة لهم أحياء فلن نقتلهم، ومع ذلك فلتبقي هنا.

نظر كاني إلينا وقال ساخرًا:

لذلك لا أحب مرافقة النساء، فهن دائمًا كائنات تدعي الخوف.

ضحكنا جميعًا مما أغضب كلارا، فقلت لهم:

هيا بنا لا وقت لدينا، كلارا فلتأخذي حذرك أيضًا، ديفيد وبوجا مقيدين لكن هم مثل الشياطين.

قال كاني:

هيا بنا.

وذهبنا وأخذنا أماكننا، حتى جاءت الإشارة من جنودنا بالخارج، بأن خمسة أشخاص قادمون، منهم أربعة مسلحين بأسلحة آلية، والآخر لديه مسدس، وهم على بعد خمسمئة متر.

انتظرنا حتى دخلوا من الباب، ودخل خلفهم وليام، وخرجنا أمامهم أنا وإقبال وكاني والجنود الثلاثة الآخرين، فأردياهم طرحى الأرض بطلقات من السلاح الليزري مثبط الأعصاب، إلا روبن فبحركة سريعة تمكن منه وليام، وأخذ سلاحه، فسلسلنا يديه وأخذناه إلى المعمل أيضا.

وبدأنا نسيطر على البرنامج وبدأ إلغاء التفعيل العد التنازلي،

---٪٩٥

---٪٩٣

---٪٩١

وبدأت تنفرج أسارير الفريق، فقال كاني بسرور:

الآن نأتي للمرحلة الأخيرة، لنعرف من هم قادة هذه المؤسسة.

وبدأ بتوجيه الأسئلة لروبن، وحفظها على شريحة إلكترونية، وأرسلنا إلى جورج ليبلغ الاتحادت، ليقوموا بالسيطرة عليهم قبل أن يعلموا بأنّا سيطرنا على منشأتهم.

لكن ماذا هناك؟ ومن أين تأتي أصوات الطلقات؟!

آلام النصر

دخلت على كاني وباقي الفريق بقلقٍ شديد، قال إقبال بلهفة:

ماذا هناك يا معتصم؟ وما تلك الأصوات بالخارج؟

أجبته وأنا ألهث:

يبدو أن ذلك الوغد أعطى إشارة استغاثة لمنظمته، وهناك مجموعة مسلحة تشتبك مع جنودنا بالخارج.

سمع كاني تلك الكلمات فأرسل كل المعلومات التي حصل عليها إلى جورج وطلب منه إرسالها لجميع الاتحادات الآن، وأخبره بما يحدث، وخرجنا كل منَّا يحمل سلاحه وتركنا كلارا عند السلاح، فجاءت إشارة من أحد الجنود بالخارج، يقول بصوت متألم:

أغلقوا الباب جيدًا، لقد نالوا منَّا.

قال وليام بغضب:

لا تقلقوا يا رفاق، لكن كم عددهم؟

قال الحارس وكأنه يحتضر:

كثير للغاية لا مجال لكم لمقاومتهم. إلا بغلق الباب وانتظار المساء.

وانقطع الصوت، وترقرقت الدموع في أعيننا، وصاح وليام:

أجيبوني يا رفاق. أجيبوني لا تصمتوا. لِمَ لا تجيبون؟

أسرعنا وأغلقنا الأبواب، ولا ندري ماذا نفعل، لكن قال كاني:

لا وقت للتراجع، سنقاوم حتى آخر قطرة من دمائنا.

وقال إقبال:

الآن تكتمل.

فعلمت أنه يقصد جملته التي يرددها دائمًا «لن نموت ليحيا الوطن.»، فأردف قائلًا:

«فالموت في سبيله بداية الحياة».

هنا طارت من عيني عَبرة لطالما قاومتها، لكنها غلبتني؛ قال كاني بأمل في وسط ذلك الحصار:

الباب يستطيع الصمود لساعة من الوقت، لذلك علينا إيجاد حل قبل ذلك الوقت.

قلت وأنا أمسح تلك العَبرة من عيني:

يمكننا أن نعلم كم عددهم، وذلك بتشغيل الكاميرات الخارجية.

قال كاني:

أحسنت! تلك فكرة رائعة، فلتبقوا هنا أنتم وسنعود لكم سريعًا، ولكن خذوا حذركم ونحن هيا بنا.

ذهبنا لغرفة المراقبة أنا وكاني، وبقي خلف الباب وليام ونيكسون وإقبال واثنان من الجنود، لقد فقدنا الثلاثة الآخرين، فتحنا الكاميرات الخارجية، وكانت الصدمة.

قال كاني بغضب:

أربعون مقابل تسعة رجال وفتاة، هذا أمرٌ شديد الصعوبة.

قلت له:

وإن جاءت المساعدات جوًّا، فلن تصل قبل ساعتين.

مسح كاني العرق المتصبب على وجهه، وذهبنا إلى باقي الفريق، فجاءت كلارا وهي تقول:

تم إيقاف أجهزة السلاح جميعها، وهناك حل قد يزيد موقفنا قوة.

التفت الجميع إليها بترقب لما ستقول، فأردفت:

سنتواصل معهم بأجهزة الإرسال التي كانت مع جنودنا، وسنخبرهم أن روبن وديفيد وبوجا ما زالوا أحياء، قد يكون روبن أعطاهم الإشارة بأنّا قتلنا الجميع.

وافق الجميع على تلك الفكرة، وبدأنا بالتنفيذ وحققت الفكرة نجاحًا جزئيًّا، وذهبت لألقي نظرة على الكاميرات مرة أخرى، لكنهم.

صحت قائلًا:

ابتعدوا عن الباب سيفجرونه.

ابتعد الجميع وكل أخذ مكانه فوضعنا الرهائن الثلاثة أمامنا، فليس هناك أمل في الخروج من هنا فليخسروا أهم قادتهم وعالمهم وزعيمهم؛ ارتدينا الأقنعة جميعنا، وفجأة دوى انفجار عظيم دمر الباب وخلف سحبًا من الدخان الأسود والأتربة، وبعد هدوء الدخان والأتربة، بدأوا بالاقتراب، وصاح كاني بغضب:

أطلقوا النيران.

فاشتدت المعركة بيننا، وسقط منهم ثلاثة، وبدت علامات الاختناق على الرهائن، بدأوا يتفوقون علينا، بدأوا بالتقدم داخل الباب، وبدأنا بالتراجع، سقط منهم خمسة، وأصيب أحد جنودنا بشظية في كتفه، فألقى وليام بقنبلة يدوية صغيرة تجاههم، فسقط الجنود الذين دخلوا الباب، مما جعلنا نتقدم نحوهم ونستعيد أماكننا، وألقى أخرى خارج الباب لتكسبنا بعض المساحة.

وفجأة صرخت كلارا:

احترسوا إنهم يأتون من الخلف.

وسقطت بطلقة في كتفها، فتعقدت الأمور أكثر وأكثر، أعطانا وليام بعض القنابل وبدأنا نقاتل في جبهتين، أصيب جوني والجنديان فسقطا على الأرض، أصبحت معادلة المعركة تساوي خسارتنا، فهم أكثر من خمسة وعشرين مقاتل، ونحن ستة مقاتلين فقط.

صاح جوني وهو على الأرض:

احترس يا وليام.

وتحامل على نفسه، وأطلق على جندي كاد يصيب وليام، مما جعلهم يحولون طلقاتهم عليه، ليلفظ أنفاسه الأخيرة.

فجأة بدأ الجنود يتراجعون إلى الخلف لم يكن هناك وقت للدهشة أو الاستفسار، فتركناهم يتراجعون وأنهينا أمر خمسة من الذين كانوا خلفنا، وتبعناهم، فعلمنا أن هناك من يقاتل معنا، فخرجنا أيضًا وحاصرناهم في المنتصف، وبدأت إحداثيات المعادلة تعود لصالحنا، وبعد نصف ساعة قتال استطعنا إنهاء أمر العشرين جندي الذين تراجعوا بمساعدة تلك المجموعة التي جاءت لتنقذنا لكنها اختفت بلمح البصر.

نظرنا بدهشة للجنود الذين كانوا يهاجموننا، فإذا بهم جراحهم أكبر مما تسببه أكبر طلقات عالمنا، وخاصة تلك الأدخنة الحمراء التي تتصاعد من جثثهم لكن لا وقت أيضًا للاستفسار فقط يجب تأمين المجموعة الباقية منّا.

صاح وليام:

كيف وصلوا من خلفنا، وما الذي حدث لهم؟!

أجابه كاني بغضب:

على الأغلب من ناحية النفق المنهار.

قال إقبال:

حينما شعرت بأننا منهزمون طلبت المساعدة من أبينوس.

فحمدنا الله على ذلك، وعدت أنا ونيكسون لنرى كلارا والجنديين وجوني، وتبعنا كاني وإقبال وبعد نصف ساعة أخرى وصلتنا مجموعة مقاتلين لمساعدتنا فتقدم قائد تلك المجموعة نحونا وطلب من جنوده تأمين المنشأة وطلب طائرات الإسعاف فورًا، فقال كاني بأسى:

شكرًا لكم أيها الجنود.

أجابه القائد:

بل الشكر لكم أنتم يا فرسان الشرق، مثلكم ترفع لهم القبعات احترامًا فأنتم مثال للخير في هذا الكون، أنا جون روبرت قائد قوات الحماية المدنية في مقاطعة ألاميدا[٢٨]، لقد أخبرنا صديقي «ذكريا بوجيبار» بما حدث لأنهم لن يتمكنوا من الوصول إليكم قبل ساعتين.

وفجأة صاح أحد جنوده:

سيدي احترسوا إنهم خلفكم.

وثارت الطلقات في أرجاء المنشأة مرةً أخرى، وفجأة. سقط إقبال على الأرض غارقًا في دمائه.

كنت أنظر لكلارا وهي غارقة في دمائها تتألم، ولم تستطع سدود عينيّ من مقاومة فيضان الدموع الثائرة، وزاد ألمي حينما رأيت معتصم يصرخ بغضب:

إقبال.

---

٢٨ - إحدى مقاطعات ولاية كاليفورنيا في الولايات الأمريكية الأمريكية.

فنظرت إلى إقبال الذي تلقى طلقتين، إحداهما في ذراعه الأيمن أسقطت منه سلاحه، والأخرى في صدره، وزاد غضب معتصم فأخذ سلاح إقبال، وكأن الطلقات كانت تخشى غضبه، فكانت تأبى إلا أن تستقر في صدور الأوغاد وقلوبهم، الطلقات تنساب من أسلحته كدموعه تنساب من عينيه غضبى، حتى نفدت ذخيرته نخر بجانب إقبال يتفحصه، وهو يقول:

يا رب لا تأخذ مني خليلي، يا رب نجنا من هذا الكرب العظيم، يا رب يا رب يا رب.

فضمه وليام وأخذه بعيدًا عن إقبال ليسعفه فريق الإسعاف الذي أتى بطائرات المساعدة التي أرسلها جورج وذكريا بوجيبار، وأنا ما زلت جالسًا بالقرب من كلارا وبصري زائغ بين هذا الشاب الجسور، وبين كلارا، حتى قال أحد الأطباء لمساعديه:

يجب نقلهما من هنا فورًا، فالمكان هنا سيلوث جروحهما، انقلوهما للطائرات المجهزة لتنقلهما للمستشفى فورًا.

فطلبت منه مرافقة كلارا، كما طلب معتصم أن يرافق إقبال، لكن الطبيب ربت على كتفينا، قائلًا:

لا يمكن حملكم في طائرات الإسعاف، لكن لا تقلقا ستلحقا بنا في طائرة أخرى.

فقال معتصم والألم يخنق كلماته:

قل لي إنه بخير قُلها أرجوك.

ابتسم الطبيب ابتسامة الأطباء التي تبعث السكينة في قلوب المرضى، وقال:

كلاهما بخير فقط فلتدعو لهما.

خرج المسعفون بالمصابين، والتفتنا لكاني فوجدناه جاثيًا على قدميه عند رأس جثة جوني، فوضع معتصم يده على كتفه ليواسيه، لكن يبدو أننا جميعًا نحتاج في هذا الوقت من يضمنا في حضنه لنستمد منه القوة، فتحدث كاني وهو يدعي القوة قائلًا:

لا يوجد حرب بلا خسارة، لكن الاستسلام للظلم هو أكبر خسارة، فلتنعم أرواح شهداء البشرية بسلام في جنات ربهم. ستظل كلماتك يا ناصر في قلبي.

رفع معتصم وكاني أيديهما وتمتما بقرآنهما، وتمتمت بترانيمي المسيحية.

فسأل معتصم كاني:

ناصر؟

أجابه بحزن:

نعم اسمه ناصر وليس جوني، ستعلم الكثير لاحقًا.

قال معتصم بألم: لكن حقًّا. لتحيا البشرية في سلام يجب أن تقدم القرابين من أنقى الدماء.

ثم خرجنا إلى الطائرات، وأخذ رجال الإسعاف جثث الجنود الثلاثة وجوني، وحمّلنا المواد الخطيرة في طائرة خاصة كما طلب رئيس الاتحاد.

حسنًا. ها نحن ننتصر لكن. ما طعم الانتصار بتلك الآلام التي خلفتها تلك المهمة.

***

بعد يومين استجمعنا فيهما أنفسنا، واطمئننا على المصابين ودّعنا جورج ورجال اتحاد الولايات الأمريكية، واستعدّت الطائرة «برق ٧٣» التي أرسلها لنا الاتحاد العربي الإسلامي تيسيرًا لعودتنا، وانطلقت بنا من مطار لويزيانا باتجاه مطار القاهرة الدولي.

قلت لإقبال بسعادة:

كانت مغامرة شيقة.

قال:

فعلًا هي كذلك يا معتصم والحمد لله أنك بجانبي دائمًا.

تلقانا رئيس الاتحاد العربي الإسلامي بصحبة رؤساء الاتحادات الشرق آسيوي، والجنوب أفريقي، والأوروبي، في قصر الاتحاد استقبال الأبطال، فرحب بنا السيد رئيس الاتحاد في مكتبه، وقال وهو يقلد كاني وسام فرسان الشرق:

المهندس عبد القادر إسماعيل أتممت مهمتك على أتم وجه.

ابتسم كاني قائلًا:

بفضل الله جاهز لدفع حياتي فداءً لأمتي أدعوتني عبد القادر أو كاني.

استبدت الدهشة بنا حينما قلد نيكسون وسامه قائلًا:

المهندس إسحاق عيسى أتممت مهمتك بإخلاص شكرًا لك.

انحنى قائلًا:

بفضل الرب وتدريباتكم في فرسان الشرق.

وكذلك مع إدوارد الذي دعاه «راغب»

ما زلت أنا وإقبال في حيرة من أمرنا مما نرى، فأخرجنا من حيرتنا صوت السيد الرئيس:

هؤلاء -عبد القادر، وإسحاق، وراغب، والشهيد ناصر- من فرسان الشرق، منذ ثلاثة أشهر تواصل معنا قائد كوكب المرمر، وأبلَغنا بوجود مرض خطير يهدد كوكبهم وعلاجه موجود في كوكب الأرض، وأن هناك من يستخدمه في دمار العالم، فعرضوا علينا المساعدة في حل تلك المؤسسة، وأن نعطيهم نحن ذلك الدواء.

قال إقبال:

عذرًا سيدي لكن ما هو ذلك الدواء؟

أجابه بابتسامة:

هو مركب السارين فهم يستخرجون منه علاجًا لذلك المرض الذي أصاب كثيرًا من أهل الكوكب، وقد جمعت منه كميات كبيرة في تلك المؤسسة التي رأيتموها، فوافقنا على تلك العلاقة المشتركة، وتلك الرسالة التي أرسلها أبينوس معكم كانت تخبرنا بأنكما جاهزان للعملية، وأنهم بحاجة للسرعة لأن المرض يزداد تعقيدًا.

قلت بلهفة:

سيدي هل كنتم على علم بذهابنا إلى كوكب المرمر؟!

أجاب بابتسامة:

لا. بل نحن من رشحنا كما لتلك العملية وما كان ذهابكما إلى الكوكب إلا مجرد اختبار لكل من يرشح لذلك، فنعلم حجم ولائكما للبشرية، ولننظر كيف تتصرفان، فقبلكما تم تجنيد المهندس عبد القادر والمهندس إسحاق واللواء الطبيب ناصر -رحمه الله- والطبيب غالب، والحمد لله نجحتما في اختباركما ونجحتما في مهمتكما.

لا أدري أنحن في حلم أم تلك حقيقة، تقدمنا ناحية رئيس الاتحاد، وقلدنا قلائد فرسان الشرق، وقال متبسمًا:

بارك الله في شباب العرب، بارك الله في فرسان الشرق، الآن يمكنكما أن تطلبا ما يخطر على عقولكما.

فتقلدنا أوسمتنا وسط ذهولنا، وأخبرنا بتواجد عائلاتنا وخاصة مرشدنا ومعلمنا الشيخ سيد، ووجود عائلة كلارا أيضًا، نظر لي إقبال وقال متبسمًا:

أتدري يا معتصم، فقط الآن أشعر بلذة المخاطر التي عشناها.

ابتسمت وقلت:

الحمد لله الذي وفقنا وأعادنا سالمين لوطننا.

نظرت لإقبال فابتسم، وقال:

ليس لنا مطالب سوى حج بيت الله وزيارة قبر النبي «صلى الله عليه وسلم» وصلاة في أولى القبلتين برفقة أهلنا.

وابتسم إسحاق ونظر إلى كلارا، وقال:

ونحن أيضًا نريد الحج لكنيسة القيامة، ونتمّ مراسم زواجنا هناك.

فنظر السيد رئيس الاتحاد إلى عبد القادر وقال:

وأنت أيها البطل المغوار؟

قال المهندس عبد القادر:

حج بيت الله أسمى رغباتي، لكني أريد أن أستدعي عائلتي أيضًا.

ونظر لوليام الذي أتى معنا وقال:

القائد وليام من شجعان الاتحاد الأوربي، ما طلباتك؟

فقال بابتسامة:

فقط أريد التعرف على الإسلام أكثر، فليس لي طلب إلا أنني سأذهب للأزهر أولًا لأتعلم ذلك الدين الحنيف.

ابتسم السيد رئيس الاتحاد، وقال:

كل مطالبكم مجابة أيها الأبطال.

***

النهاية «الممالك المنسيّة»

وبعد يومين:

كنا نسير أنا وإقبال في وسط الأشجار على الهضبة الخضراء في قريتنا، وننظر للقمر المضيء وسط بساطٍ من النجوم، وفجأة لمع نجم أزرق في السماء، وبدأ بالاقتراب سريعًا ثم توقف على ارتفاع متر من الأرض، وما كانت إلا مركبة أبينوس ونيني سافا لكن هذه المرة كانت معهم ليماثا وسيمارا، فخرج أبينوس بوجهٍ باسم يشع ضياءً وقال:

نعلم أن الجهاز دُمر في المهمة ولم نستطع التواصل معكم، لكنكم كنتم تحت أعيننا دائمًا، أحسنتم أيها الأبطال.

ابتسم إقبال وقال ما كنت أود قوله:

لَمَ لم تخبرنا من قبل بأنك تواصلت مع رئيس الاتحاد؟! وما تلك الكلمات التي قلتها حينما أطفأ نيني سافا جهاز الترجمة على الكوكب؟! والرسالة الخاصة لرئيس الاتحاد؟!

ابتسم وقال:

كان هذا اختبار بسيط أم كنت تريد أن تغش فيه؟ أمَّا تلك الكلمات فقد كان يبلغني أنه أعلم رئيس اتحادكما بجاهزيتكما للمهمة وأننا بحاجة ملحة للعجلة في تلك العملية لحاجتنا للعلاج.

نظرنا لبعضنا نظرات دهشة وحيرة، ثم اقترب نيني سافا، وقال:

والآن وقت المكافأة التي تليق بأبطال مثلكما.

نظرنا أنا وإقبال إلى بعضنا، وقلنا في صوت واحد:

أي مكافأة؟!

ابتسم أبينوس، وأشار إلى صندوق معدني داخل المركبة، وقال:

لتعرفوا عن أجدادكم المصريين القدماء دينهم وعلمهم وحياتهم، هذا ميراث جدنا وجدكم إمحوتب.

وأخرجت سيمارا وليماثا الصندوق، وفتحه أبينوس فوقعت أعيننا على كتاب يبدو على غلافه الجلدي أنه مطعم بالذهب، فقرأ إقبال الاسم الذي على الغلاف والذي كان مكتوبًا بالهيروغليفية «الممالك المنسية»؟!

قالت سيمارا بابتسامة رقيقة:

نعم «الممالك المنسية» فهو يحوي أسرار ما توصل إليه أجدادكم المصريون القدماء في عصرهم.

واقتربت منّي ليماثا وأهدتني قلادة مرمرية مزودة بشاشة هولوجرامية، وكذلك فعلت سيمارا مع إقبال وقالت:

سنتواصل معكم دائمًا.

فقال أبينوس:

لعل الفرقة المقاتلة وصلتكم في وقت مناسب؟

أومأنا بأسى، فقال:

لا انتصار بلا تضحية أيها الأبطال.

ونظر للكتاب نظرة أخيرة وقال:

الجهاز به مُترجِم أيضًا للكتابة الهيروغليفية.

وودعونا مع وعد باللقاء، وودعناهم بحرارة الفراق، وانطلقت سفينتهم مبتعدة عن الغلاف الجوي لكوكبنا، ثم لمعت كنجم أزرق في السماء واختفت.

تمت بحمد الله

فرسان الشرق

***

التعريف بالكاتب

أحمد السيد أبومكي

مواليد ١ فبراير ١٩٩٥

محافظة سوهاج

خريج كلية دار العلوم جامعة المنيا ٢٠١٧

حاصل على دبلومة عامة في التربية جامعة سوهاج ٢٠١٨

حاصل على شهادة معتمدة من جامعة القاهرة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ٢٠١٩

كاتب وروائي وعضو في الجمعية المصرية لأدب الخيال العلمي

نشر لي ورقيًا قصتان؛ الأولى بعنوان «حضارتنا والمستقبل» في المجموعة القصصية «الصامدون»، والثانية «حازم والكوكب الأحمر» في المجموعة القصصية «المستقبليون» والمجموعتان ضمن سلسلة شمس الغد التي تصدر عن الجمعية المصرية لأدب الخيال العلمي، وشاركت بقصتين في مسابقة الكتاب المجمع «المقاومون» ضمن نفس السلسلة،

والذي سيصدر في معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠٢٠م؛ الأولى «صقور الهاريس» حاصلة على المركز السادس، والثانية «من الصعيد إلى اليمن السعيد» المركز التاسع. وقصة قصيرة بعنوان «كوكب طيبة» نشرت على موقع كيندل، وأمازون، ومنصة لولو، وجوجل بلاي، وجوجل بوكس، ومنصة ليالي عربية، باللغتين العربية والإنجليزية.

***